العشّاب

(حاجٌّ إلى الحقولِ النائيةِ)



شعر وترجمة غرافيكية

ناصر مؤنس

2025

العَشّاب

(حاجٌّ إلى الحُقولِ النّائيةِ)

العَشّاب

(حاجٌّ إلى الحُقولِ النّائيةِ)

شِعرٌ وتَرجَمَةٌ غُرافيكيَّةٌ.

اسم الكتاب : **العَشَّاب -** (حاجٌّ إلى الحُقولِ النَّائيةِ)
شِعرٌ وتَرجَمَةٌ غُرافيكيَّةٌ.

اسم المؤلف : **ناصر مؤنس**

تصميم الغلاف

الطبعة الأولى : 2025

الترقيم الدولي :9781326155087

الناشر : دار مخطوطات

Makhtootat press and publishing house
Mauvelaan 67
2282 SW Rijswijk
The Netherlands
e-mail: Makhtootat1@gmail.com

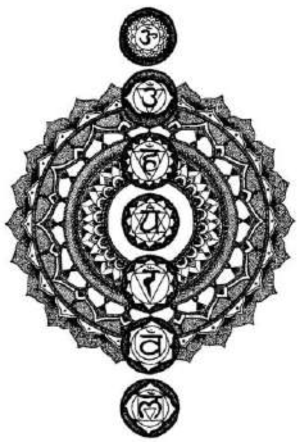
﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾[1]

[1]- القُرْآنُ الكَرِيمُ، الآيَةُ (17) مِن سُورَةِ نُوحٍ (71)

– هل وَصَلْتَ؟

– لا، يا عَشَّابُ.

أنتَ على الطَّريقِ إلى الحُقولِ النائِيَةِ.



مَشَّاءُو الْحُقُولِ

تَقُولُ الْإِشَاعَةُ:

إِنَّ الْمَشَّاءِينَ وَصَلُوا
إِلَى الْحُقُولِ النَّائِيَةِ.
كَانُوا نُخْبَةً
مِنْ ذَوِي الْحِكْمَةِ،
أَمْسَكُوا الطَّيْفَ
الَّذِي أَرْسَلَهُ اللّٰهُ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ،
وَعَرَفُوا الْجَوَابَ.

الْمَلَائِكَةُ أَبْصَرُوا الْمَشْهَدَ.

تقولُ الإشاعةُ:

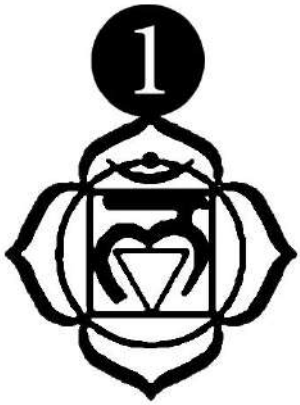
هبَطَ الملائكةُ.
–ماذا تَحمِلُ...؟
–إنَّها تَحمِلُ العَبءَ... عَبءَ الكَلِماتِ.

تقولُ الإشاعةُ:

توسَّلَتِ الكَلِماتُ بالملائكةِ
ألاّ تَترُكها على الأرضِ،
أن تُنقِذَها من الموتِ،
وأن تَحصُلَ على وَعدٍ
ألاّ تُحبَسَ في كِتابٍ.
لم يُدرِكِ الملائكةُ الخَيالَ الذي دارَ بخَلَدِ الكَلِماتِ.
شَعَرَتِ الكَلِماتُ بالكُلفةِ الباهِظةِ لِخِداعِ الملائكةِ.
وكَمُناوَرةٍ مِنها،
لم تَستَعمِلِ المَعنى بأمانةٍ،
ففَتَحَتِ البابَ للرَّمزِ،
لِلتأويلِ،
لِلمعنى الخاطئِ،
لِلكَذِبِ،
لِلزَّيفِ،
لِسوءِ الفَهمِ الرّاسِخِ رُسوخَ الدَّلائلِ،
لِلأنانيَّةِ،
لِعَمى الرّوحِ،
لِفُقدانِ الأخلاقِ،
لِلخَيالِ،
لِلاستِعارةِ،
لِلوَهمِ،

لِلاختِلاقِ،
لِلأحلامِ،
لِلإخفاقاتِ والابتهالاتِ،
لِلخَطيئةِ،
لِلمُعاناةِ،
لِلضَّلالِ.
لِلشَّكِّ بمعنَى الوُجودِ، وطَبيعةِ الإلٰهِ الذي يَطلُبُ تَرضِيَةً
مِنَ البَشَرِ.
تَمَرَّدَتِ الكَلِماتُ على الإيمانِ.
هذِهِ الكَلِماتُ هي الأعشابُ في داخِلِنا،
الأعشابُ الَّتي تُحَرِّضُنا على الشِّفاءِ، وإطلاقِ النِّداءاتِ،
على الأملِ والرَّجاءِ،
على الكِفايةِ الرّوحيَّةِ، والسَّيرِ إلى الحُقولِ النّائيةِ.

عِندَما حَدَثَ ذلكَ،
اختَفَى السِّحرُ عن قَصَصِ الآلِهَةِ،
وتوارَى الإضفاءُ السّامي لِلرّوحِ القَديمَةِ،
حَتّى لِعَشّابٍ مِثلِي،
(أنا)
الأقَلِّ ارتباطًا بالكَلِماتِ والمَلائِكَةِ.



لَوْنُ الدَّمِ

"كَمَا يُشِيرُ الاقْتِبَاسُ"

"لربَّما أنك باحثٌ في الأغصانِ
عما لا يَظْهَرُ إلاّ في الجُذُورِ"
جلالُ الدينِ الروميّ

يعيش الآن في صورةِ الشَّخصِ الذي يُشاهِدُ نَفْسَهُ يَموت.
عَيْناهُ مُغْلَقَتان،
فَمُهُ مَفْتوح.

(هو)

لا يَتَحدَّثُ عن الموتِ المَعْرُوف، بل عن هذا التَّشظِّي اللَّانهائي، عن هذا الخواءِ الذي يَتَسَرَّبُ إلى داخله، ويَمْضي إلى أعمقِ أعماقه؛ عن فتنةِ الشيطانِ اللامِعة، تَسْتَجْلي - بلا كَلَل - مِحْنَةَ الحِدادِ المُرْعِبة.
عَيْناهُ مَفْتُوحتان،
فَمُهُ يَرْمِي كلماتٍ، تُشْبِهُ الكلماتِ التي يَهْذي بها شَخْصٌ نائم.
العُشْبُ لُغَةٌ حينَ يَضيعُ الكلام.
يقول: **العَشَّاب**.

(هو)

يُنْبِتُ بُذورَ الكلمات، ويَجْهَلُ ما ستكون عليه الثَّمَرة.

أراد أن يُوَدِّعَ المعنى، أن يَكْتُبَ عن تِلْكَ الوحْدَةِ التي
تَجْرِي في عُرُوقِه، عن أضرِحَةِ الأولياءِ وصَمْتِ هَنْدَسَتِها
الخالِص.

أراد أن يَكْتُبَ عن بُقاعٍ شاسعةٍ، ومَجَرّاتٍ بعيدة.
يَنْذُرُ حياتَهُ للشِّعْرِ والأسفار، للطَّبيعةِ المَوْلُودَةِ من جديد،
ولسِحْرِ الفَضاءِ غير المُتَناهي.
أراد أن يَطُوفَ في الأرض بلا غاية.
يَغِيب،
يَتَخَطّى عَتَبةَ الآخرة،
ولا أحدَ من حَوْلِهِ يُلاحِظُ ذلك.

أراد الإقبالَ على الكلماتِ بوصفِها أعشابًا.
أراد التَّصويتَ على الدنيويِّ بورقةٍ بيضاء.
أراد لحظةً شتائيّةً، يعيشُ فيها مع نفسه،
بعيدًا عن العقائدِ، ومن دون إله.
أراد أن يُمْسِكَ بالجَذْرِ الحيّ، يُحاكي الذُّهولَ، ويَسْمَعَ
النداءاتِ التي ينبغي التَّقاطُها.
كانَ هناكَ نداءٌ في العُمق،
نداءٌ وديٌّ وعميق،
نداءٌ سمعه ولم يَعْرِفْ مَصْدَرَه،
نداءٌ يَظْهَرُ من العَدَمِ، ويَغِيبُ في الفَراغ.

ومن بعده، يَصْرُخُ المجهولُ بأعلى صوتِه:
لا شيء يدوووووووم.

في الماضي، أراد أن يَسْتَقِيَ الخلاصَ من الوردة، أن يَزْرَعَ الكلمات.
أما الآن، فهو يُفَكِّر بـ"القطف."
بالطبع، هو لا يَقْصِد "قطفَ" زهرة،
بل "قطفَ" حياة، قَطْفَ عوالِمَ داخليّة، قَطْفَ روح.
قَطْفَ الآخرة، والدُّخولَ إلى حقلٍ لانهائيّ،
حقلٍ شَفَّافٍ، بوابتُهُ الموت.

قال: الأكوانُ غيرُ المرئيّةِ هي أوطانُنا الحُقَّة.

أراد أن يَلْتَقِطَ صورةً لنفسه من الداخل،
لكنه توقّف حين رأى الوميضَ الذي يُضيء الروحَ يختفي،
رأى الفَيْضَ الغريبَ الذي يَغْمُرُه،
الجَمالَ الذي يَأْسِرُه،
والدَّهشةَ العارِمةَ التي تَرْقُصُ في داخله.

أراد أن يَصْعَدَ إلى الذكريات،
ومع ذلك، وجد نفسَهُ في عالَمٍ من الأبيض والأسود،
يَقِفُ خلفَ كاميرا،
ويُحاوِلُ الضغطَ على زرِّ إيقافٍ مُؤقَّت

قبل أن تَظْهَرَ بِركةُ سباحةٍ ساكنةٍ وبسيطة
(إلى درجةٍ يُمكن وضعُها في بِرواز).
في انعكاسِها،
رأى أخطاءَ الماضي تَقْفِزُ من النسيان،
وتُمَزِّقُ صورةَ حياتِه.

في الليل،
اسْتَرْخى قربَ جِذْعِ شجرة،
شاعِرًا بالامتنانِ للعَتَمَة.

رأى الأثرَ الذي يَرْسُمُه ظلُّ قارِبٍ يُبْحِرُ في بحيرة.
رأى أطيافَ العالمِ تَلْمَعُ على قماشِ روحِه.
رأى الإلهَ يَجْلِسُ وسطَ زهرة.

سَمِعَ البَدائيَّ يقول: الإلهُ في الرَّعْدِ والنار.
سَمِعَ الساحرَ يقول: الإلهُ كامِنٌ في الكلمات.
سَمِعَ الحكيمَ يقول: الإلهُ مُجَرَّدُ حَدْسٍ، وعلينا ألّا نُؤمِنَ بما لا نستطيعُ إثْباتَه.

سَمِعَ الشاعرَ يقول: بَصيرتُنا لا تَعْبَأُ بمُكَافآتِ الرَّبّ.
سَمِعَ الآثاريَّ يقول: كانت لدينا ثقةٌ أكبرُ بالأسطورةِ قبلَ اكتشافِ الدين.
سَمِعَ الفلكيَّ يقول: رُوّادُ الفضاءِ هم البحّارةُ الأوائلُ في بحرِ الكواكب.

سَمِعَ المُحارِبَ يقول: نَعْرِفُ الآنَ أنّ فِكْرَةَ القَتْلِ قد تمَّ تصنيعُها في الأفرانِ النَّوويةِ للأديان.

أُنظُرْ كيف تَحْفِرُ الروحُ الأرضَ الرطبة،
كيف هبطَ الملائكةُ من السماء،
ومن الصرخةِ التي أطلقَها الإنسانُ الأول، وُلِدَ الإله:
صوتُ "الأنا" القادمِ من وراءِ الحياة.
أُنظُرْ إلى الصمتِ الذي يقعُ في الجانبِ الآخرِ من الزُّرقة،
إلى الطبيعةِ غيرِ المُرَوَّضة، وسُكوتِ المجهول.
أُنظُرْ: الظُّلْمةُ تَزْدَري البهاءَ الذي لم تَنَلْ حَظْوَتَه،
والغِلظةُ التي تَنْتَصِر.

(هو)
لا يدري: أَيَحْلَمُ أم يَتَأمَّل؟
يستيقظُ، ويُواصلُ السير.
عيناهُ مفتوحتان،
فَمُهُ يَرْمِي كلماتٍ تُشْبِهُ الكلماتِ التي يَهْذي بها شخصٌ نائم.

–أَتُدْرِكُ، يا عَشَّاب، أنك حين تذهبُ إلى الحقولِ النائية،
سَتَفْقِدُ طريقَ العودةِ إلى روحِك؟
سَمِعَ العُشْبَ يقول.

التقطَ، بكاميرا العقلِ المُرْهَف، صورةَ حياتِه.
تذكَّرَ أطيافَ العالمِ تَلْمَعُ على قماشِ روحِه.
انْتَظَرَ أشعةَ الشمس،
انْتَظَرَ أَغاني الطيور،
انْتَظَرَ العِطْرَ الذي يأتي من الزهرة، وقال:

–العاشقُ يَسْتَمِعُ إلى الكلمات،
المُريدُ يَسْتَمِعُ إلى الصمت.

ومثلَ من يُمْسِكُ بالجذرِ الحيّ،
الْتَقَطَ النِّداءاتِ التي ينبغي التقاطُها.

(سَمِعَ الضوءَ يقول)
– أَتُدْرِكُ، يا عَشَّاب، أنكَ لمْ تَذْهَبْ بعيدًا؟
كنتَ تَدورُ وتَدورُ في الحقلِ نفسه.
عَيْناكَ مملوءتانِ بغبارِ المعنى،
وفَمُكَ يَرْسُمُ – باللونِ الأسود – صورةَ الوحشِ على لوحةٍ فارغة.

أصغى إلى الأطياف،
أصغى بانتباهٍ كبير،
إلى العُشبةِ في داخله.

كانت تتحدّثُ عن قدّيسين من أزمنةٍ غابرة،
كَرِهوا عجرفةَ الآلهة،

وسكنوا المَغاراتِ المَلأى بالنقوش.
غَرَسوا عُشبةً في الفم،
لأنّها الوسيلةُ الوحيدةُ لتذوُّقِ الصَّمت.

(هو)

لا يُريد أن يتحدّثَ عن التَّشابُهِ بين الآلامِ والأفكار،
يُريد أن يتكلَّمَ عن الأورادِ الوَهميّةِ التي يُبدِعُها الصوفيّون،
عن أعشابِ الشفاعةِ والخلاص،
عن الدَّمِ الذي يَقْطُرُ من شجرةِ الحياة،
فتتحوّلُ القطراتُ إلى أزهارِ ورد
عن الكلماتِ المُطَرَّزَةِ على ألواحِ الصلوات.
مثل:
خَرَسٍ وخَبَايَاه،
لفظةٍ مُنْهَكَة،
ورقٍ أَصْفَر،
حِبْرٍ،
أبيضَ على أسود،
صلاةٍ، أو قرابةٍ سِرِّيّة،
نهاياتٍ خاليةٍ من الألم،
قُرْبانٍ سعيد،
معابدَ / حدائقَ / قُصور،
خُبْثِ الظلام،
شَجَرٍ يمرُّ على نافذةِ قطار،

ضَريرٍ يَحلُم؛
أحلامُهُ هي تجوالٌ في مزاجِ النور،
داءٍ أرادَ الخروجَ من العالم،
والاختفاءَ إلى الأبد،
ما هو عَصِيٌّ على الوَصف،
أعجوبةٍ تعودُ إلى بيتِها،
تختارُ الأخفَّ من غيرِه.

صالَحَ العُشْب،
وَضَعَ جسدَهُ تحت تصرُّفِ الطبيعة،
وانتظرَ أن يُصابَ بالبُكْم.

لم يكنْ ميتًا، لم يكنْ في الحياة، ولم يكنْ في المكان.
كان في هذا الانعكاس الذي يطردُ اليأسَ بالغضب،
يسكنُ مرايا لا تعكسُ حياتَه،
وحدَه، يرى صورةً مُجمَّدةً في المرآة،
يُمنحها الظلامُ وَهْمَ الحركة.
لم يَعُد يشعرُ بالنعاس،
النومُ لا يريدُ التواصلَ معه،
تخلَّى عنه، هَجَره،
ولا يريدُ أن يتذكَّره.

فِي دِيكُورِ الْمَاضِي،
هُوَ أَثَاثٌ عَتِيقٌ...
آلَةٌ لِاقْتِلَاعِ وُجُودِهِ، تُعِيدُ إِسْكَانَهُ فِي حَوْضٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ.
لِذَلِكَ، هُوَ يَعِيشُ فِي هَذِهِ الْمَسَافَةِ،
فِي ضَرِيحِ الْوَقْتِ، بَيْنَ الذَّاتِ وَالْآخَرِ.
فِي اللَّحَظَاتِ النَّادِرَةِ، يَشْرَبُ الْخُلُودَ.
إِنَّهُ يَسْكَرُ بِالْأَطْيَافِ،
بِالْفَجْرِ، بِالْوَمِيضِ، بِالتَّلَاشِي،
وَيَغْرَقُ فِي أَعْمَقِ رُعْبٍ لَا يَسْتَطِيعُ اجْتِيَازَهُ.
كَانَ يَنْظُرُ إِلَى حَيَاتِهِ كَمَا لَوْ كَانَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا مِنْ فِرَاشِ الْمَوْتِ.
لَا يَتَذَكَّرُ أَحْلَامَهُ.
وَقَدْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ قَصَائِدَ عَنِ الشَّيَاطِينِ، الْفِيلَةِ وَالْمَلَائِكَةِ.

فِي مَعْبَدِ الْحُلْمِ الْبِدَائِيِّ،
رَأَى صُوَرَ الْآلِهَةِ الَّتِي تَسْكُنُ الْأَوْثَانَ،
وَرَأَى الصَّخْرَةَ مَوْجَةً تَتَحَرَّكُ.
اقْتَرَبَ مِنْ تِمْثَالٍ مُهَشَّمٍ،
فَرَأَى نَفْسَهُ، بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ،
مُنْهَمِكًا فِي التَّنْقِيبِ عَنْ أَعْضَائِهِ،
وَيُطْلِقُ الدُّعَابَاتِ.

لَمْ يَكُنْ فِي الْمَعْبَدِ غَيْرُهُ.
بَكَى عَلَى نَفْسِهِ كَمَا يَبْكِي الْإِنْسَانُ عَلَى شَخْصٍ آخَرَ.
رَأَى نَعْشَهُ يَعْبُرُ الْحُقُولَ،
وَفِي الْعَيْنِ الْمَنْقُوشَةِ عَلَى طَاسَةٍ حَمْرَاءَ،
رَأَى بَوَّابَةَ الطَّرِيقِ إِلَى السَّمَاءِ،
قَرَأَ سَرْدِيَّاتِ الْخُلُودِ.
شَهِدَ الرَّقْصَةَ الْكَوْنِيَّةَ لِلْمَوْتِ،
وَعَرَفَ أَنَّ السَّكِينَةَ هِيَ الْقُبُولُ بِالطَّابِعِ الْعَابِرِ لِلْحَيَاةِ.

قَصَائِدُ الزِّن (الْمَلأَى بِالسَّكِينَةِ وَالْهُدُوءِ)،
قَادَتْهُ إِلَى الْبُحَيْرَةِ وَالْغَابَةِ.
جَلَسَ قُرْبَ النَّارِ، تَنَشَّقَ الْهَوَاءَ،
وَنَامَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ.

فِي عُمْقِ أَحْلَامِهِ، ظَلَّ مُسْتَيْقِظًا،
وَفِي يَدِهِ سَاعَةٌ رَمْلِيَّةٌ.
أَرَادَ أَنْ يُحَوِّلَ الرُّوحَ إِلَى نُورٍ جَوَّالٍ،
أَوْ يَكْتَشِفَ عُشْبَةً لِشِفَاءِ الذُّعْرِ.
يَحْرُسُ لَوْنًا يَحْتَضِرُ،
يَحْرُسُ الْأَرْوَاحَ الطَّائِرَةَ فِي الْغَابَةِ،
يَحْرُسُ الصَّمْتَ، وَنِدَاءَاتِ الْغَامِضِ الْبَعِيدِ.

بدأ يعشَقُ الخرافاتِ.
صحيحٌ أنَّ الكتابةَ تُبَدِّدُ السحر،
لكنَّه لا يُريدُ أن يَخدِشَ بياضَ الصفحة.
لم تكنِ الكتابةُ كتابةً،
ولا الصَّمتُ صمتًا.
أرادَ كتابةً نقيَّة،
وكانت هناكَ **قوةُ الخُشوع**.
شَعَرَ بِالذَّنْبِ مِنْ تَعْكِيرِهِ صَفَاءَ الْوَرَقَةِ.
تَرَكَ الصَّفْحَةَ التالية فَارِغَةً،
إِلَّا مِنْ جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ:

(صَمْتٌ جَلِيلٌ).

قَالَ: الْعَقَاقِيرُ لَا تُسَاعِدُنِي عَلَى الرَّاحَةِ.
قَالَ: الصَّلَوَاتُ لَا تَبْعَثُ فِي نَفْسِي الْأَمَلَ.
قَالَ: لَوْلَا الْأَدْيَانُ مَا كَانَتِ الْكَرَاهِيَةُ لِتُولَدَ.
قَالَ: الْأَفْعَالُ الْخَيِّرَةُ هِيَ أَفْعَالٌ أَنَانِيَّةٌ، لِأَنَّهَا تَتَوَسَّلُ تَأْيِيدَ الرَّبِّ.
قَالَ: اللّٰهُ مُجَرَّدُ حَدْسٍ، وَعَلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ بِمَا لَا نَسْتَطِيعُ إِثْبَاتَهُ.
قَالَ: الشُّعَرَاءُ يَرْسُمُونَ وَلَا يُلَوِّنُونَ.
قَالَ: الْكِتَابَةُ هِيَ انْتِقَامٌ مِنَ الْفَشَلِ.

(وَكَتَبَ فِي صَفْحَةٍ أُخْرَى)

الْكِتَابَةُ تُشْبِهُ الرَّسْمَ؛ فَكُلُّ كَلِمَةٍ هِيَ لَطْخَةٌ مِنَ الطِّلَاءِ.
"أَنْتَ تَبْكِي عَجْزَكَ عَنْ تَحْضِيرِ تِرْيَاقِ الرُّوحِ"،
قَالَتِ الْكَلِمَاتُ.

فَمُهُ مُفْتَوحٌ.
تَعابِيرُهُ إيجابيَّةٌ، وتأويلاتُهُ خاطِئَةٌ.
جَسَدُهُ في وَضْعِ الِاسْتِلْقاءِ، والعَيْنانِ مُغْلَقَتانِ... قِصَّةُ حَياتِهِ لَم تَعُدْ مَنْطِقيَّةً.

وَصَلَ إلى المُسْتَقْبَلِ، لكِنَّهُ غَيْرُ قادِرٍ على إِخْبارِ ذاتِهِ العَتيقَةِ...
اللُّغَةُ لَم تَعُدْ قادِرَةً على وَصْفِ العَواصِفِ الَّتي تَهُبُّ في خَيالِهِ...
كَلِماتُهُ مُراوِغَةٌ، ونُقْطَةٌ عَمْياءُ في لُغَتِهِ.
أَحلامُهُ غَيْرُ قابِلَةٍ لِلتَّرْجَمَةِ. حينَ يَكْتُبُ عن غِيابِ الأَمَلِ، فإنَّهُ يَكْتُبُ عن "الامْتِلاءِ":
أَنْ يَكونَ مُمتَلِئًا بِاليَأْسِ، بِالقُنُوطِ، بِحَياةٍ عابِرَةٍ،
بِذلِكَ التَّدَفُّقِ الغَزيرِ الَّذي يُذَكِّرُهُ بِالنِّهايَةِ.

أَرادَ أَنْ يَتَذَوَّقَ الامْتِلَاءَ، ويُوشِمَهُ عَلى جَسَدِهِ.
كانَتِ الكَلِماتُ كَوْمَةَ قِمامةٍ، والثِّمارُ مَيِّتَةً. كانَتِ البَرِّيَّةُ داخِلَ رَأْسِهِ.
كانَتِ اللُّغَةُ صَلّبَة، كانَ الرَّمادُ لامِعًا كَنَدْبَةٍ عَلى الجَبِينِ.
وكانَ الصَّمْتُ مَوشُومًا كَإِمْضاءٍ عَلى الجَسَدِ.

لَمْ يَعْبَأْ بِالأَلَمِ.

فِي غُرْفَتِهِ صُورَةٌ مُؤَطَّرَةٌ لِشَخْصٍ لا يَعْرِفُهُ. مَيْدانُ الرِّمايَةِ يَحْتَبِئُ وَراءَ حَياتِهِ؛ أَيَّامُهُ تَمْضِي بِهذِهِ الطَّريقَةِ: صِراعاتٌ، أَسْرارٌ، وتَجَلِّياتٌ.

صُوَرٌ عَشْوائِيَّةٌ تَنْغَرِزُ فِي رَأْسِهِ. رُبَّما تَتَجَسَّدُ عَلى شَكْلِ حُلْمٍ، رُبَّما تَتَجَسَّدُ عَلى شَكْلِ تَعَبٍ.
تَعِبَ مِنَ الانْدِفاعِ الحَتْمِيِّ لِلْغِيابِ، مِنَ العَمى، مِنَ الكَلِماتِ الَّتي تَحْرُثُ الفَراغَ.
خَرَجَ إِلى عالَمٍ بِالأَسْوَدِ وَالأَبْيَضِ، وَاخْتارَ العَوْدَةَ إِلى حَياتِهِ

جَمَعَ زَهْرَةَ الرُّمَّانِ وَالجُلْنارَ،
جَمَعَ القُنْطُرِيُونَ وَالجُمَّيْزَ وَكَفَّ الذِّئْبِ،
جَمَعَ شَجَرَ الحَيَّاتِ وَالصَّعْتَرَ،
جَمَعَ أَضْراسَ العَجُوزِ وَحُمَّاضَ الأَرْنَبِ،
جَمَعَ المُصْطَكِيَّ وَالخَرْشوفَ،
جَمَعَ شَوْكَ العَقْرَبِ وَحَرْفَ الماءِ،
جَمَعَ ساقَ الحَمَامِ، عُودَ البَرْقِ وَالدَّارَصِينِيَّ،
جَمَعَ حِنَّاءَ الغِوايةِ وَخُصَى الكَلْبِ،
جَمَعَ عُودَ البَرْقِ، لِسانَ العُصْفورِ وَدَمَ الثُّعْبانِ،
جَمَعَ صَمْغَ الصَّنَوْبَرِ وَالسَّمَّانَ،
جَمَعَ عَيْنَ الدِّيكِ وَاليَشْبَ،
جَمَعَ الأَثْلَ وَالعَرْعَرَ،
جَمَعَ الحَرْمَلَ وَالخَرْدَلَ،

جَمَعَ الطِّينَ المَخْتُومَ وَالعِطْرَ.
وَأَوْقَدَ نِيرانَهُ.

دائمًا، تقولُ الأساطيرُ: "القَدَرُ يَختَبِرُ التَّنَبُّؤاتِ"
ودائمًا، يَرُدُّ الصَّمْتُ: الكَلِماتُ تَفقِدُ قُوَّتَها السِّحريَّة
تَهرَعُ الطَّبيعةُ إلى داخِلِنا،
تَتَوَقَّفُ،
تَلتَقِطُ أَنفاسَها، وتَنطِقُ بِكَلِماتٍ مُبعثَرة:
سَتائِرُ مِنَ الظَّلامِ سَتُصبِحُ الذَّرّاتِ الخالِدةَ،
وسَيُصبِحُ الكَونُ حِساءً ساخِنًا.

الأَشباحُ تَفصِلُ بَينَ المَجَرّاتِ،
والنِّهايَةُ تُطلِقُ العِنانَ لِخَيالاتِها الخِصبَة.
سَتكونُ الثُّقوبُ السَّودُ مَلاذَنا الأَخير،
وظِلُّ العَدَمِ على جِدارِ الكَهفِ
سَيكونُ
المَشهَدَ الأَخيرَ.

مِن عَليائِه يُصفِّقُ الرَّبُّ:
"رائع! يا لَهُ مِن مَشهَدٍ مُمتِع!".

(هو)
يابِسٌ الآن...

يَشعُرُ أنَّ الطَّراوَةَ تَخرُجُ مِن جَسَدِهِ، تُفارِقُه. خَيالُهُ يَخبو، وثِمارُهُ مُرَّةٌ. عاشَ الوِحدَةَ في بِلادٍ لا تَكتَرِثُ بِه، وها هو يَتذكَّرُ:

تَذكَّرَ (شَجَرَةً مُبارَكَةً يَكادُ زَيتُها يُضيءُ)

تَذكَّرَ أنَّهُ شاهَدَ هذِهِ الشَّجَرَةَ مِن قَبل.

تَذكَّرَ إغفاءاتِ أُولَئِكَ الَّذينَ تَضَرَّعوا إلى الكَلِماتِ،

وهم يَحتَضِنونَ الأبَدِيَّةَ.

الأشجارُ لُغَةٌ حينَ يَضيعُ الكلامُ،

الأشجارُ عِظامُ اللّه.

صَحيحٌ أنَّ إيمانَهُ تَضاءَل،

ولم يَستَمِعْ إلى أَكاذِيبِ القِيامَةِ،

ولم يَعبَأْ بِفِكرَةِ الخُلود،

لكنَّهُ مُولَعٌ بـ (شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ يَكادُ زَيتُها يُضيءُ)

شَجَرَةٌ تَتَأمَّل،

تُريدُ أن تَعرِفَ ما تَعنيهِ حَياةٌ ذابِلَةٌ،

وما يَعنيهِ فِعلٌ لا مُضارِعَ لَه،

وما يَعنيهِ عَطَشٌ لا يُمكِنُ سَبرُ أَغوارِهِ.

بِلا فَيضٍ أو مَجاز،

رَكَضَ مِن شَجَرَةٍ إلى أُخرى،

رَكَضَ مِثلَ رَجُلِ إطفاءٍ تَجاوَزَهُ الحَريق،

ومِثلَ مَن يَركُضُ لِيَختَفِيَ في ذاتِهِ.

يَتَذكَّرُ الألَمَ،
يَتَذكَّرُ الأَمَلَ،
وقَلبُهُ يَحمِلُ جَنائِزَ الأَدعِيَةِ.

أصحابُ الكَمالِ يَجِدونَ فِي الخَرَسِ كَمالَهُم،
وهم يَتَذكَّرونَ: (شَجَرَةً مُبارَكَةً يَكادُ زَيتُها يُضيءُ).
الرَّحِمُ حَقلٌ مَحرُوث،
والنُّورُ روحٌ طائِرَةٌ.

أُطَهِّرُكَ بِالعُشبِ - العَقاقِيرُ تَقتُلُ الرُّوحَ القَوِيَّةَ.
أُطَهِّرُكَ بِالبِذرَةِ، بِهذَا القُربانِ السَّعيدِ.
أُطَهِّرُكَ بِالزَّهرَةِ، بِشَذاها السِّرِّيِّ، بِيَقَظَةِ الحَواسِّ.
أُطَهِّرُكَ بِشَجَرَةٍ يَكادُ زَيتُها يُضيءُ.

أُذُناهُ تَتَجاهَلانِ الثَّرثَرةَ،
وعَيناهُ تَتَكَيَّفانِ تَدريجيًّا مع بَياضِ الحائِطِ.
في وميضٍ مِنَ العُزلةِ، لَم يَكُن يَعرِفُ ما هِيَ الدِّيمومَةُ.
في نُبوءَةٍ بلا حَرارَةٍ، مَدفُونَةٍ تَحتَ الأرواحِ والأشباحِ،
خَرْبَشَتِ الآلِهَةُ كُلَّ تِلكَ الكُتُبِ المُخيفَةِ على هامِشِ فَجرِ الزَّمَنِ.
تَوَرَّطَت مَشاعِرُنا بالإيمانِ، فَتَحَوَّلَتِ الكُتُب إلى عَقائِدَ،
وتَحَوَّلَ الإيمانُ إلى طُقوسٍ شاقَّةٍ.

كانَت لَهُ أَساطيرُهُ الذَّاتِيَّةُ،
ولَهُ قِصَّتُهُ الَّتي تَتَغَيَّرُ مع تِكرارِ السَّردِ.
سَمِعَ الآلِهَةَ تَقولُ:
"شَيِّد أُسطورتَكَ"
لا يُمكِنُكَ إلَّا أن تَرغَبَ في أن تُصبِحَ إلهًا بدَورِكَ...
وما الآلِهَةُ سِوى الطَّيفِ الصَّاخِبِ في العَتمَةِ،
الطَّيفِ المَرسومِ كَغُبارٍ مُتَراكِمٍ على لَوحَةٍ فارِغَةٍ.

يَسقُطُ الشَّيطانُ كَنَجمٍ مُلتَهِبٍ في المياهِ العَذبَةِ القادِمَةِ
مِن أَنهارِ الفِردَوسِ.
استَيقَظَ مِنَ الحُلْمِ،
فَوَجَدَ نَفسَهُ وَحيدًا مَع أَفكارِهِ،
يَجلِسُ على حافَّةِ السَّريرِ،
يُحَدِّقُ في الحَياةِ الَّتي تُشبهُ عُزلَةً بَرَّاقَةً تَموجُ في الفَراغِ.
أرادَ أن يَحرُسَ الهاوِيَةَ،
أرادَ تَخَيُّلَ الكائِناتِ على أَنَّها أَعشابٌ.

وَهجٌ أَزرَقُ يَومِضُ على حِيطانِ غُرفتِهِ،
وحَياتُهُ مُخبَّأَةٌ تَحتَ طاقَةِ الاسمِ.
كانَ يُدرِكُ أَنَّهُ ما زالَ غَريبًا:
عن نَفسِهِ،
عنِ الاسمِ،
عنِ الآخَرِ،

وعَنِ الوُجودِ الَّذي يَندَفِعُ كَفُقاعَةِ هَواءٍ صامِتَةٍ في دَوّامَةِ الكَونِ السَّرمَدِيَّةِ.

فجوَةُ الزَّمَنِ كانَت ضَيِّقَةً جِدًّا،
حَتّى لَيَبدو أنَّ الذّاكِرَةَ تَتَّسِعُ لَها.
عُمرُها لا يَدومُ قَبلَ أن تَتَدَخَّلَ اليَقَظَةُ،
لكنَّ اليَقَظَةَ لا تَستَطيعُ اكتِشافَ الجَمالِ:
الجَمالِ العَميقِ،
الرُّوحِيِّ،
المُشِعِّ.
بَعضُهُم يَقَعُ في أَسرِ الفَجوَةِ،
وهو يُرَدِّدُ:
- يا لِجَمالِ هذِهِ الهاوِيَةِ.

(هو)
يُريدُ مِنَ الحِبرِ أن يَكونَ نَبيلًا،
يُريدُ أن "يُلغِي" الزَّيفَ الَّذي خَطَّهُ اليَراعُ،
والأَكاذيبَ الَّتي تَنسُجُها الأَقدارُ.

ذاتَ يَومٍ، نَظَرَ في المِرآةِ وقالَ:
- سَأَقتُلُ هذا الشَّبَحَ
رَدَّ الشَّبَحُ:
- سَأَقتُلُ هذا الجَسَدَ.

كانَت كَلِماتُ الشَّبَحِ أَكثَرَ قُوَّةً،
فَبَدَأَ الجَسَدُ يَضعُفُ،
يَأخُذُ سَقَمَ الشَّبَحِ ويَحمِلُ أَمراضَهُ،
يَحمِلُ على قَلبِهِ خَطايا الشَّبَحِ وقُوَّتَهُ،
كأنَّها خَطايا خاصَّةٌ بِهِ.
كانَت لَعنَةُ الشَّبَحِ أَكثَرَ قُوَّةً،
وأَصبَحَ الجَسَدُ يَئِنُّ،
ولَم يَنطِقِ الشَّبَحُ بِكَلِمَةٍ واحِدَةٍ عَنِ الشِّفاءِ.
لَم يَجرُؤْ على مُغادَرَةِ الجَسَدِ.
قَدَّمَ القَرابِينَ،
وشَعَرَ بِضَوءٍ غَريبٍ يَسري في جَسَدِهِ.
جاءَتِ الأَشباحُ ودَخَلَت أَحلامَهُ،
وقَبلَ أن تَتَلاشَى كالشَّرارَةِ...
قالَتِ الأَشباحُ:
- سَأَهبُكَ تَغريدَةَ الضَّوءِ.

ذاتَ يَومٍ، نَظَرَ في المِرآةِ وقالَ:
- سَأَقتُلُ هذا الاسمَ.
رَدَّ الاسمُ:
_ الاسمُ لا يَموتُ، الاسمُ روحٌ حارِسَةٌ،
الاسمُ هو الحارِسُ غَيرُ المَرئيِّ الَّذي تَسَمَّيتَ بِهِ،
والآلِهَةُ تَسكُنُ الاسمَ.

كثيرًا ما تَحضُرُ أَسماءُ المَوتى في حَياتِهِ،
وكثيرًا ما تَزورُهُ في أَحلامِهِ.
لَم يَنتَظِر الأرواحَ تَزورُه،
بَل أَصبَحَ هو الزَّائِرَ الدَّائِمَ إلى عَوالِمَ غَيرِ مَرئيَّةٍ،
وباتَ يَعرِفُ بَواباتِ الدُّخولِ.
بَحَثَ عن فِردَوسِهِ المَفقودِ،
بَحَثَ في تَعاليمِ الحِكمَةِ،
وأرادَ أَن يُمسِكَ الفَراغَ (فَراغَ الوُجودِ مِنَ الوُجودِ)

(هو)

لا يُريدُ أن يُؤَوِّلَ الفَراغَ كَماهِيَةٍ مُنفَصِلَةٍ،
بَل يُؤَوِّلُ وُجودَهُ.

(هو)

فارِغٌ الآن كالغِيابِ...
يُريدُ أَن يُمسِكَ بالفَراغِ،
ويَستَنِدَ علَيهِ،
يُريدُ إزالَةَ مَعناهُ،
وإظهارَ تَناقُضِهِ،
وكَشفَ لا اتِّساعِهِ.
يُريدُ أن تَكونَ لَهُ أَفكارٌ عنِ الأَفكارِ،
يُريدُ تَبادُلَ المَظاهِرِ معَ الوَهمِ،
يُريدُ التَّأويلَ العَدَمِيَّ لِلفَراغِ،

الإيمانَ بِسُلالاتٍ كَونيَّةٍ،
وأساطيرَ غامِضَةٍ.

لِماذا أَطفَأتَ الظُّلمَةَ، يا عَشَّابُ؟
لِماذا أَشعلتَ النَّارَ في الحَقلِ؟
المَعاني: أَعشابٌ تَكبُرُ في حَقلِ الكَلِماتِ.
الكَلِماتُ: حَدائِقُ العالَمِ.
أمَّا الكِتابَةُ: فأَبنَاءٌ يَمزِّقونَ الذِّكرياتِ.

اغرِسْ هذا العُشبَ في داخِلِكَ،
اغرِسْهُ في حَقلِ الرُّوحِ العَميقِ.
أَدعَمْ حُضورَهُ بِفَرَحٍ وقُوَّةٍ،
واَشعُرْ بِجُذورِهِ وهيَ تَتَعمَّقُ في جَسَدِكَ.

اَحفِرْ مَجرى دَمِكَ، وأَكثِرْ سَقْيَهُ،
اهتَمَّ بِهِ،
راقِبْهُ، راقِبْهُ فَقَط،
وكُنْ سَعيدًا ومُطمَئِنًّا،
كَمُزارِعٍ صَبُورٍ.

بارِكْ حُضورَهُ في نَفسِكَ،
وتَذَوَّقْ ثَمَرَتَهُ الَّتي تَخرُجُ مِن أَعمَاقِكَ،
ثَمَرَةَ السَّلامِ والسُّكونِ.

(هو)

يَجلِسُ الآنَ أمامَ الحاسوبِ،

فَمُهُ مُفتوحٌ،

وعَيناهُ مُغلَقَتانِ...



بلَوْنِ قِشْرَةِ البُرْتُقالِ

(لا يُمكِنُكَ إِلَّا أنْ تَرْغَبَ في أنْ تُصْبِحَ شَجَرَةً بِدَوْرِكَ)

جورج بيرك

1

جَمَعَ أَلَمَهُ وصورةَ موتهِ،
وأَوْقَدَ نيرانهُ.

لَيْسَ طَبِيبًا، لَيْسَ صَيْدَلَانِيًّا.
الأَعْشَابُ تَنْمُو عَلَى جَسَدِهِ،
وَيَعُودُ إِلَى آخِرِ لَحْظَةِ سَلَامٍ عَاشَهَا الإِنسَانُ مَعَ الطَّبِيعَةِ.

رُبَّمَا، أَطْفَأَتِ العَقَاقِيرُ نَظْرَةَ عَيْنِهِ اللَّامِعَةَ،
رُبَّمَا، هَدَمَتِ السَّنَوَاتُ رُوحَهُ الشَّبِيهَةَ بِالأَقْوَاسِ أَوِ الشُّرُفَاتِ،
رُبَّمَا، عَادَ المَلَائِكَةُ إِلَى بُيُوتِهِمُ السَّمَاوِيَّةِ، وَلَمْ يَسْمَعُوا صَلَوَاتِه.

رُبَّمَا، خَرَجَ مِنْ أُسْطُورَةٍ قَدِيمَةٍ، وَسْطَ الأَشْبَاحِ وَالأَوْحَالِ.

لَكِنَّهُ لَيْسَ سَاحِرًا،
لَيْسَ طَبِيبًا، وَلَيْسَ صَيْدَلَانِيًّا.
سَمِعَ الصَّوْتَ الَّذِي فِي دَاخِلِهِ،
وَرَاهَنَ عَلَى لُغَةِ العُشْبِ أَزْيَدَ مِنَ الكَلِمَاتِ.
لا يُريد أن يَبحثَ عن عُشبةِ الخلود،
يُريد أن يَصنعَها.
جَمَعَ السِّحرَ والعَقاقير،
جَمَعَ الأضاحي، مِسكَ الجِنِّ، الإيمانَ، الجَزَعَ البَدائي،
جَمَعَ التُّرابَ، الرمادَ، الحكمةَ والعدالة.
جَمَعَ الورد والقراص والخشخاش وسنبل المحبة.
أصغى إلى الافتِتانِ السِّريِّ، الخافِتِ، الوَديع،
وأراد أن يَصنعَ تِرياقَهُ الخاصَّ لشفاءِ الروح.

تَذكَّرَ الأسلافَ الذينَ عرَفوا طريقَ الغابات.
تَذكَّرَ أجدادَهُ الموتى، وهُم يَظهَرونَ بأجسادٍ شَفيفة.
تَذكَّرَهم كيفَ يمرُّونَ عبرَ الجُدران، والأشجار، والأشخاص.
تَذكَّرَ أرواحَهم تَسمَعُ شَدوَ الطبيعة،
وتَرقصُ على إيقاعِ ماضٍ بعيد.
تَذكَّرَ خَيالاتِهم مُرتديةً أوراقَ **حشيشةِ القروح**،
تَذكَّرَ الصلواتِ الخافتة، الطقوسَ الغامضة، قوَّةَ الإيحاء،
تَذكَّرَ ضيوفَ الأولياء وأحلافَهم.

وضَعَ يَدَهُ على فمِ القصيدةِ لِتَصمُت،
وأَوْقَدَ نِيرانَه.

2

عَرَفَ تَجرِبَةَ المَوتِ، وها هو يَحيا في عُمرِ الانبِعاثِ.
في المِرآةِ، يَرى جَسَدَه... وقد تَحوَّلَ إلى هَيكَلٍ عَظمِيٍّ.
لم يَعُد مَهووسًا بالحَياةِ،
هو يُطالِعُ الآنَ المَصيرَ العَجيبَ لِلقاطِنينَ في الأرضِ.
لم يُعَلِّقِ الآمالَ على نِهايةٍ سَعيدةٍ،
يُريدُ مِيتةً سَريعةً... ومُؤثِّرَةً.
كانَ يَكرَهُ الأطبّاءَ وشَرِكاتِ التَّأمينِ على الحَياةِ،
ويُريدُ المَوتَ بلا عَونٍ مِنَ الأديانِ.
لا يُريدُ أن يَعرِفَ غاياتِ الرَّبِّ المُبهَمَةَ،
ولم يَعُد يَنتَظِرُ مُعجِزَةً.

أرادَ أن يُغلِقَ البابَ على الذِّكرياتِ والتَّجارِبِ،
يَرى حَياتَه في صُورَةِ العُشبِ،
لكِنَّه... لَيسَ طَبيبًا، لَيسَ صَيدَلانِيًّا.
قَرَأَ على العُشبِ تَعازيمَه،
جَمَعَ العَصفُرَ / ما يَعقِدُ مِنَ الرِّيَاحينِ،
جَمَعَ قُرَّةَ العَينِ / ماءَ السَّماءِ،
جَمَعَ ما لَيسَ بِحَمضٍ ولا عاقولٍ،
جَمَعَ كُحلَ الغَيثِ / ما غَمَرَهُ اليُباسُ.
جَمَعَ الشِّعرَ بالسِّحرِ،
الكَلِماتِ بالأعشابِ،
العَقاقيرَ بالتَّعاويذِ...
وأَوقَدَ نِيرانَهُ.

3

بِهذِهِ العَقاقيرِ، بِهذَا العُشبِ،
عَلَّقَ قِناعَ المَوتِ على الشَّجَرَةِ،
وأَوقَدَ نِيرانَهُ.

بِهذَا الجانِبِ المُظلِمِ مِنَ الحَياةِ...
مَشَى في الغابَةِ،
مَشَى في قَلبِها النّابِضِ، الصّاخِبِ،
سَمِعَ نِداءاتِها (تِلكَ النِّداءاتِ المَغرُوسَةَ في الأعماقِ)
أحضَرَ النّايَ المَصنُوعَ مِنَ العِظامِ،
ومِثلَ روحٍ، نَسَجَ أُغنِيَةً مِن إيقاعاتِ الطَّبيعَةِ.

حَفَرَ الأرضَ الرَّطبَةَ،
وأَنشَدَ الألحانَ القَديمَةَ.
أَنشَدَ الأغانيَ...
الأغانيَ الَّتي عَزَفَها الجانِبُ الآخَرُ مِنَ الصَّمتِ.

حَفَرَ أَخادِيدَ السِّنينِ،
ومَضَى في بَرَكاتِهِ،
في سِحرِ كَلِماتِهِ،
في حَياةٍ غَيرِ مُنتَظَمَةٍ،
مَضَى في أَحاسيسِهِ، في تَأمُّلِهِ،
في حَنِينِهِ
ذلِكَ الحَنِينُ الصّامِتُ الدَّفِينُ...
وأَوقَدَ نِيرانَهُ.

4

جَمَعَ إكليلَ الجَبَلِ،
قُفّازَ الثَّعلبِ،
ذَنَبَ الأَسَدِ،
لِسانَ الكَلبِ،
ورِجلَ الغُرابِ.

جَمَعَ الأَشنَةَ،
الحَشَرَاتِ،
نَباتاتِ الصَّحراءِ،
الظُّلْمَةَ،
الوُحولَ اللَّزِجَةَ،
الصَّفصافَ،
الصَّنَوبرَ،
الدُّردارَ،
الزَّانَ،
أسماءَ الأنهارِ والبَشَرِ،
صَمتَ الأَشجارِ،
الأدغالَ، والصُّخورَ.

ارتَدَى مَلابِسَهُ المُرَصَّعَةَ بالخَرَزِ،
التي تَهتَزُّ كُلَّما تَحَرَّكَ.
جَمَعَ الظَّلامَ
(فالعالَمُ لم يَعُدْ مِثاليًّا لأداءِ الطُّقوسِ)،
جَمَعَ نِهايةَ النَّهارِ،
صَلاةَ النَّومِ،
جَمَعَ الأَطيافَ،
وأَوقَدَ نِيرانَهُ.

جَمَعَ العَوسَجَ والكَمْأَةَ،
الخَرنوبَ والخُبازَ،
الكَرَفْسَ والبَقْلَةَ الحَمقاءَ،
الرَّيحانَ وما لا يَكادُ يُطَالُ،
السَّعدَ وما تَأكُلُهُ النَّحلُ فيَطيبُ عَسَلُها،
الأقحُوانَ ونَبتًا عُروقُهُ لا تَصِلُ إلى الأَرضِ،
الخَشخاشَ الأَسوَدَ والأَبيَضَ،
البَرقَ الذي يَنبتُ في الغَيمِ، وما لَيسَ بِشَجَرٍ.
وأَوقَدَ نِيرانَهُ.

5

فِي الغابَةِ،
حاوَلَ مُحاكاةَ الحَيَواناتِ،
تَقليدَ إيماءاتِها، صَرخاتِها،
وهو يَبكِي عَجزَهُ عن استِحضارِ الدَّواءِ الشّافِي.
لاحَظَ الاستِحالَةَ الباهِرَةَ لِغِيابِ الصَّدَى.
قالَ:
"الصَّدَى... صَوتٌ آخَرُ قادِمٌ مِن صُراخِ مَجنُونٍ"
مِن داخِلِ الغابَةِ،
مِن مَزامِيرِ العِظامِ،
مِن نَاياتِ القَصَبِ،
مِن عالَمٍ يَكتَظُّ بالأرواحِ،
مِن زقزقةِ الطُّيورِ،
مِن الألوانِ،
مِن الأصواتِ...
الأصواتِ نَفسِها،
الَّتي لَم يَسمَعْها قَطُّ.

6

هُنا، سَمِعَ غِناءَ الصَّيّادينَ.
هُنا، التَحَقَ بِنارِهِم...
هُنا، سَهِرَ على حِراسَةِ عُزلَتِهِ،
ولم يَعبَأْ بِالنَّمرِ الَّذي يَجولُ بالقُربِ مِنهُ.
هُنا، جاءَتِ الأرواحُ،
انتَزَعَتْ أَعضاءَهُ،
واستَبدَلَتْها بِأَحجارٍ سِحرِيَّةٍ.

هُنا، عاشَ الدَّوَرانَ الرَّشيقَ الحالِمَ،
ورَفَعَ شُعلَةَ اللُّغزِ الهائِلَةِ.
هُنا، حاوَرَ العُشبَ
(أَعتَقِد أَنَّهُ يُحاوِرُ إِلهًا)
أرادَ أَن يَمزِجَ السِّحرَ بِالعَقاقِيرِ،
ويَصنَعَ تِرياقًا يُشبِهُ ثَمرَةَ المَعرِفَةِ.

٦

ظَلَّ مُستَيقِظًا، وفي يَدِهِ مِزوَلةٌ،
يُراقِبُ طَيرانَ الكَلِماتِ مِنَ التَّعويذَةِ...
تَطيرُ كَهَبَّةِ نَسيمٍ فوقَ الزَّهرَةِ المُتغَنِّجَةِ،
بِضَوءِ الشَّمسِ المُنعَكِسِ على ألوانِها.

الكَلِماتُ الَّتي تَبَخَّرَ مِنهَا النَّدَى،
في هذِهِ الحُقولِ المُظلِمَةِ.
لا يُريدُ سُمَّ الكَلِماتِ، ولا إغرائَها،
لا يُريدُ هذا الفُحشَ الَّذي يُزَيِّفُ المَعنى.
ولَم يُصَدِّقِ الهالَةَ الهَابِطَةَ مِنَ السَّماءِ.

في هذَا المَشهَدِ المُظلِمِ،
ثَمَّةَ مَشهَدٌ آخَرُ...
ككُلِّ قَفرٍ،
لا شَيءَ علَى الإطلاقِ،
سِوَى عُشبَةٍ يابِسَةٍ،
بَدَت لَهُ غَريبَةً،
مِنَ الصَّعبِ علَيهِ إدرَاكُها أو مَعرِفَتُها.

...خَمَّنَ أَنَّهُ وَصَلَ إلى النِّهايَةِ،
أو أَنَّهُ يَقتَرِبُ مِن مُنتَصَفِ لَيلِ القِيامَةِ.

قالَ:
"النِّهايَةُ تُغمِرُني بِالسَّكينَةِ،
والإغاثَةُ تَأتي مِنَ السَّاحِرِ، لا مِنَ الطَّبِيبِ"

أرادَ أن يَهجُرَ كُلَّ شَيءٍ،
ويَعيشَ في الطَّبيعَةِ ككَائِنٍ بَرِّيٍّ،
أرادَ أن يَتَغَذَّى بِالنَّباتاتِ، والطَّحالبِ، وطَاقَةِ الضَّوءِ،
أَن يَكُونَ ابنَ القَرابَةِ مَعَ الغابَاتِ.

بَحَثَ عَنِ السُّرورِ في الصَّمتِ،
راهَنَ علَى العُزلَةِ،
تَدَرَّبَ علَى الإيماءاتِ والرَّقصِ،
وقَرَعَ الطَّبلَ.

أرادَ أن يَبقَى في عالَمِ الرُّوحِ،
يُولَدَ مِن جَدِيدٍ،
في كَونٍ آخَرَ...
في مَلاذٍ بَينَ الحَياةِ والمَوتِ،
مَلاذٍ آمِنٍ.

8

قُبالةَ هذا العُشبِ،
قُبالةَ هذا العُشبِ، أو هذهِ الأغصانِ،
ها هو يَصرُخُ، لأنَّ الكلامَ لم يَعُدْ يَتَّسِعُ لأوجاعِهِ.

لم يُصَدِّقِ الهالةَ الأبديَّةَ التي تَلُفُّ الغُصونَ،
توقَّفَ عندَ الحضورِ الحَيِّ للأشياءِ،
قارَنَ بينَ العُشبِ وجُنونِهِ،
واسْتَدَلَّ على تَعويذةٍ بأُخرى،
وعلى لُغزٍ بلُغزٍ..
كما لو أنَّهُ يُخفي قَرابَةً سِرِّيَّةً.

قُبالةَ هذا العُشبِ،
أخطأَ بُلوغَ الكمالِ.
قُبالةَ هذا العُشبِ،
تَراخَتْ طاقةُ الرُّوحِ.
قُبالةَ هذا العُشبِ،
تَراخى بَذَخُ الشَّرقِ.
قُبالةَ هذا العُشبِ،
تَراخى الرُّكامُ الغامضُ الَّذي ظَلَّ مُتَعذِّرًا سَبْرُهُ.

قُبالةَ الاصطناعِ الذي يُنافِي الطَّبيعةَ،
القُبحُ لا يَكُفُّ عن ممارسةِ إكراهِهِ.

قُبالةَ هذهِ التَّهَيُّؤاتِ الفائقةِ الغَرابةِ،
قُبالةَ شجرةٍ مَلأى بالنُّورِ،
وعُشبةٍ تُهَزْهِزُ الرُّوحَ...
صَرَخَ: العُشبُ يَموتُ،
ونحنُ نَحْتَضِرُ.

٩

نامَ على عُشبٍ طَرِيٍّ،
على صَلاةٍ مِن أَجْلِ جَمالِ الطَّبيعةِ،
على حُلْمٍ مُشِعٍّ مِنَ الكَمالِ،
تَحْتَ الشَّجَرةِ الَّتي تَمْلِكُ قُوَّةَ السِّحرِ،
في رَحِمِ الغامِضِ،
وفاضَتْ في قَلْبِهِ إِلهةٌ خَضْراءُ.

نامَ على صُورةِ الصَّقْرِ،
وأرادَ أنْ يَقولَ:
لا سَماءَ إِلَّا هذا الفَضاءُ،
لا أَبَدَ إِلَّا هذا الزَّمَنُ.

نامَ على جِذْعِ شَجَرةٍ،
مَنْعَكِسَةٍ على أَلْوانِها
مَصائِرُ الغَرْقى في أَعْماقِ المُحيطاتِ.

نامَ على عُشْبِ الشِّفاءِ،
على نِهايةٍ خالِيَةٍ مِنَ الألَمِ،
على تَخَيُّلاتِ ناسِكٍ جَوّالٍ،
تَعاطى الحَشِيشَ،
وأقامَ صَلواتٍ حَدْسِيَّةً مَعَ الغامِضِ،
تَنَشَّقَ دُخانَ الثَّمْرَةِ المحترقة،
النَّباتاتِ ذَواتِ القُوَّةِ الرُّوحِيَّةِ،
واقْتَرَبَ مِنَ المُبْهَمِ...

عَرَفَ مَباهِجَ التَّعاطي،
تَذَكَّرَ أَجْدادَهُ الصُّوفِيِّينَ في الإسلامِ،
الَّذينَ لَمْ يُخْفُوا تَعاطِيَهُم (البَنْجَ)
كَمَصْدَرٍ لِلإلْهامِ الدِّينِيِّ.

الزَّهْرَةُ الَّتي نَمَتْ داخِلَ جَسَدِهِ،
تَصَدَّقَتْ عَلَيْهِ بِهذِهِ الرُّقْيَةِ،
بِهذِهِ الكَلِماتِ العابِرَةِ،
بِهذِهِ الكِتابَةِ الَّتي تُوَلِّدُ النِّسْيانَ.

10

لَمْ تَعُدِ الغابَةُ
سِوَى مَحَطَّةٍ أَخِيرَةٍ
لِرُوحٍ خَرِبَةٍ
تَقَاذَفَتْهَا الأَقْدارُ.

لا أَثَرَ فِيهَا لِقَرْعِ الطُّبُولِ،
ولا لِلرَّقْصِ وَالغِنَاءِ.
لا شُمُوعَ، لا بَخُورَ، لا رَمَادَ.
لا جَمْعًا لِلرُّقَى،
ولا لِلتَّعاوِيذِ وَالبَرَكَاتِ.

لا أَثَرَ،
إلَّا لِهذِهِ الأَشْجارِ الطَّافِيَةِ
مِثْلَ الأَشْباحِ،
وَلِنَظَرَاتِ الوَعِيدِ
الَّتِي تَتَبَادَلُهَا الغِرْبَانُ.

11

كانَ يَظُنُّ نَفْسَهُ عُشْبًا،
ويَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَنْحَدِرُ مِنْ قَرابَةٍ سِرِّيَّةٍ مَعَ العِطْرِ.
كانَ يَقولُ:
كُلُّ قَداَسَةٍ هِيَ خُرافَةٌ اخْتَرَعَهَا الوَهْمُ.
كانَ يَقولُ:
النُّورُ رُوحٌ طائِرَةٌ، وَالرَّحِمُ حَقْلٌ مَحْرُوثٌ.
كانَ يَقولُ:
الحِكْمَةُ لا يُمْكِنُ رُؤْيَتُها، وَالعُشْبُ دِيانَةُ النُّورِ.

هَذا ما كَتَبَهُ عَلى وَرَقَةٍ خالِيَةٍ مِنَ اللُّحومِ،
وَمَضى وَسْطَ الغابَةِ،
سَمِعَ صَوْتَ الأَغْصانِ الكَئِيبَةِ تَضْرِبُ بَعْضُها بَعْضًا،
تَذَكَّرَ الشَّجَرَةَ،
المَنْقُوشَ عَلى جِذْعِها أَسْماءُ أَسْلافِهِ،

تَذَكَّرَ السَّيْرورَةَ السِّحْرِيَّةَ السِّرِّيَّةَ،
وَتَخَيَّلَ الطِّينَ الَّذي يُمْسِكُهُ الرَّبُّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الإِنْسانَ.

كانَتِ العُشْبَةُ تَنْأَى،
وَكانَ شَبَحُهُ يَتَضاءَلُ وَسْطَ الغابَةِ.

صالَحَ العُشْبَ،
وَوَضَعَ جَسَدَهُ تَحْتَ تَصَرُّفِ الطَّبِيعَةِ.

مَضى بِهُدوءٍ في عَتْمَةِ الظَّلامِ،
كانَ مَقْصِدُهُ أَنْ يُقَلِّدَ صَرْخَةَ الطّائِرِ،
أَنْ يُقَدِّمَ قُرابِينَ نَقِيَّةً،
وَيُحَرِّرَ الرُّوحَ بابْتِهالاتٍ هادِرَةٍ،
أَنْ يُشِيرَ إِلى الغابَةِ كَمَأْوًى أَخِيرٍ لِكُلِّ مَنْ وَجَدَ نَفْسَهُ في قَلْبِ حَياةٍ مَيْتَةٍ.
فَجْأَةً، صَرَخَ غُرابٌ:
انْحَسَرَ النُّورُ، انْحَسَرَ النُّورُ،
لا شَيْءَ يَفِرُّ مِنَ الظَّلامِ.

دارَ في العَتْمَةِ،
سَمِعَ كَلِماتٍ سَمِعَها مِنْ قَبْلُ،
لَكِنَّهُ، هذِهِ المَرَّةَ، سَمِعَها بِصِيغَةٍ مُخْتَلِفَةٍ:
انْحَسَرَ النُّورُ، انْحَسَرَ النُّورُ.

لَمْ يَتَحَرَّكْ،
أَرادَ قُوَّةَ السُّكُونِ.
الطَّبِيعَةُ تَفْقِدُ طاقَتَها،
وَالجاذِبِيَّةُ لا تَقُومُ بِعَمَلِها،
وَتَتَواصَلُ الكَوارِثُ فِي التَّغَذِّي بِأَعْمَارِنا فِي صُورَةِ وُجْباتٍ دَسِمَةٍ.
الأَرْضُ تَقْتَرِبُ مِنْ نِهايَةِ حَياتِها،
وَلَمْ يَتَبَقَّ لَها ما تُعْطِيَهُ سِوَى الخَرابِ،
وَصَوْتُ الغُرابِ هُوَ آخِرُ ما ظَلَّ مِنْ صُراخٍ.

الأَشْجارُ العِمْلاقَةُ تَنْتَهِي كَأَقْزامٍ،
وَالأَعْشابُ — سَخامٌ.

الخُلُودُ — قانِعٌ وَبَعِيدٌ.
الجَوْهَرُ يَذْهَبُ إِلى المَقْبَرَةِ،
وَالحَياةُ تُعْرَضُ كَصَنَمٍ.

12

لَوَّنَ جَسَدَهُ بِلَوْنِ العُشْبِ،
وَسارَ إلى الحُقُولِ،
الحُقُولِ فِي داخِلِنا،
وَهِيَ تَسْطَعُ فِي الظَّلامِ البارِدِ،
وَسَطَ أَرْضٍ مُبَلَّلَةٍ وَنَباتاتٍ مَجْهُولَةٍ،
حَيْثُ إِنَّ الأَشْباحَ تَفْصِلُ بَيْنَ الأَمْواتِ،
وَالنِّهايَاتُ تُطْلِقُ العِنانَ لِخَيالاتِها.
لَمْ تَكُنْ حَياتُهُ ثابِتَةً أَوْ مَيْتَةً،
بَلْ عاشَ حَياةً نَباتِيَّةً،
مَكَثَ بِالنُّورِ وَبِالظِّلِّ،
وَكَرِهَ العَتْمَةَ.
عَرَفَ اليَباسَ،
وَشَعَرَ بِطَعْنَتِهِ،
وَتَتَبَّعَ مَصْدَرَ المِيَاهِ مِنَ الْوادِي إِلى الجَبَلِ،
تَذَرَّعَ بِالشَّرِّ وَوَمِيضِهِ الشَّاحِبِ.
أَرادَ أَنْ يَبْتَكِرَ أَبْجَدِيَّةً جَدِيدَةً،
تُناسِبُ أَلْواحَ الكِتابَةِ الَّتِي صَنَعَها مِنَ الأَعْشابِ.

لِيَكْتُبَ:
عِنْدَما تَعَلَّمَ الإِنْسانُ الزِّراعَةَ،
زَرَعَ فِكْرَةَ الآلِهَةِ.
البَذْرَةُ: آلِهَةٌ،
العُشْبَةُ: آلِهَةٌ،
الزَّهْرَةُ: آلِهَةٌ،
المَطَرُ: آلِهَةٌ،
الرِّيحُ: آلِهَةٌ،
الشَّمْسُ: آلِهَةٌ،
القَمَرُ: آلِهَةٌ.
آلِهَةٌ قامَتْ بِتَدْجِينِنا مُنْذُ ذلِكَ الوَقْتِ،
وَتَبِعْنا هَلاوِسَها إِلى الدَّغَلِ.
آلِهَةٌ بَدَأَتْ تُشاهِدُ نَفْسَها فِي خَوْفِنا،
خَوْفِنا مِنْ كَذِبَةٍ غائِبَةٍ.

بِدُرُوبٍ وَعِرَةٍ وَطَوِيلَةٍ،
وَاصَلَ السَّيْرَ (داخل جَسَدِهِ) إِلى الحُقُولِ البَعِيدَةِ.
فِي مَراتِبِ الوُجُودِ،
ظَلَّ عالِقًا عَلَى الطُّرُقِ،
الطُّرُقِ الضَّيِّقَةِ الَّتِي لا تُفْضِي إِلى ضِفافٍ أَوْ حُقُولٍ.

فِي الأَرْضِ الَّتِي تَنْشَقُّ،
فِي بَهْجَةِ البَرِّيَّةِ،

فِي غابَاتِ الحَيْرَةِ،
فِي فِرْدَوْسِ المَناماتِ،
رَأى عُشْبَةً صَغِيرَةً وَمُنْعَزِلَةً،
عُشْبَةً بِنُورٍ جَدِيدٍ تَنْبُتُ لِذَاتِها،
وَتُضِيءُ قَلْبَ الحَياةِ.

لا يُرِيدُ العُشْبَةَ،
بَلِ الاحْتِراقَ بِنُورِها.
النُّورُ الَّذِي يَصِلُ حَرِيقُهُ إِلى الحُقُولِ المَغْرُوسَةِ فِي داخِلِنا.

تَوَقَّفْ، أَيُّهَا الحَرِيقُ،
الْتَقِطْ أَنْفاسَكَ،
حَياتُنا تَحْتَرِقُ الآنَ.
تَوَقَّفْ مَعَهُ أَنْتَ أَيْضًا،
(أَيُّهَا القارِئُ)
وَالْتَقِطْ أَنْفاسَكَ.



لَوْنُ الذَّهَبِ

(كُلُّ الكائناتِ أزهارٌ تتفَتَّحُ...)

سون ناكاغاوا روشي

صَعِدَ إِلَى النَّبْعِ.
صَعِدَ إِلَى الاِسْتِعَارَةِ. تَفَّاحَةِ الذَّهَبِ
وَقَرَأَ: **"كُنتُ كَنْزًا مَخْفِيًّا"**
صَعِدَ إِلَى رُؤْيَا تَفِيضُ بِوَمْضَاتٍ صُوفِيَّةٍ،
كَمَا تَصْعَدُ رُوحٌ مُثْقَلَةٌ بِالرَّصَاصِ.
صَعِدَ إِلَى شَجَرَةٍ يَنْبَثِقُ مِنْهَا شَرَابُ الْخُلُودِ:
﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾.
صَعِدَ إِلَى الْجُذُورِ الَّتِي تَتَغَلْغَلُ فِي ذَاكِرَتِهِ،
فَعَرَفَ الطَّاقَةَ الَّتِي تُمْنِحُ الْبَدَنَ قُوَّتَهُ، وَالْجَسَدَ نُورَهُ.
صَعِدَ إِلَى التَّخَيُّلَاتِ النَّابِضَةِ بِحَيَاةٍ جَلِيلَةٍ،
وَتَطَلَّعَ إِلَى إِلَهٍ يَعِيشُ فِي مِرْآةٍ عَتِيقَةٍ
مُغَطَّاةٍ بِالطِّينِ وَالْأَعْشَابِ وَالْأَلَمِ (لَمْ يَعْرِفْ صُورَتَهُ).

صَعِدَ إِلَى الْيَقَظَةِ،
إِلَى الْغُمُوضِ الْحَمِيمِ الَّذِي يَسْحَرُنَا.

صَعِدَ إِلَى الْحَقِيقَةِ،
وَعَرَفَ أَنَّ اللّٰهَ يَقُومُ بِخِدَاعِ نَفْسِهِ.

صَعِدَ إِلَى جَوْهَرٍ لَا يَنْشُدُ أَيَّ جَوَابٍ،
صَعِدَ إِلَى الْخَفِيِّ، الْأَعْمَقِ، الْأَغْنَى، مَا لَا يُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَيْهِ،
لِيَبْتَدِعَ الْأَمَلَ وَيُوقِظَ الْيَقِينَ.

صَعِدَ إِلَى الْأَبَدِيِّ،
إِلَى وَقْتٍ يَقُولُ: **"الزَّمَنُ نِتَاجُ الذَّاكِرَةِ"**

يَقُولُ: الشَّجَرَةُ آلِهَتِي.

يَقُولُ: السَّحَرَةُ،
القَيِّمُونَ عَلَى القَرَابِينِ،
المُتَرَبِّعُونَ عَلَى عَرْشِ الأَضَاحِي،
صَنَعُوا سِيرَةَ الآلِهَةِ،
والحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ،
وأَكَاذِيبَ القِيَامَةِ.

ثُمَّ جَاءَ اللُّصُوصُ،
لِيَحْرُسُوا بَيْتَ الأَسَاطِيرِ.

وبَعْدَهُمْ، جَاءَ البَائِعُونَ،
فَبَاعُوا تِلْكَ الأَوْهَامَ المُتَعَدِّدَةَ الأَلْوَانِ.
وَحْدَهُمُ العَشَّابُونَ،
مُعَالِجُو الطَّبِيعَةِ فِي أُهْبِهِمُ الغَرِيبَةِ،
السَّاعُونَ وَرَاءَ إِكْسِيرِ الحَيَاةِ،
زَرَعُوا بَذْرَةَ النُّورِ.

رَجُلٌ وَحِيدٌ،
صَعِدَ إِلَى ضَوْءٍ تَسْكُنُ فِي دَاخِلِهِ رُوحُ العُشْبِ.
حَاوَلَ الوُصُولَ إِلَى اليَنَابِيعِ الحَارَّةِ،
إِلَى الحُقُولِ النَّائِيَةِ،
إِلَى المُرُوجِ المَسْكُونَةِ الأَرْوَاحِ،
وَالأَعْمَاقِ غَيْرِ العَابِئَةِ بِالأَلَمِ.

بَحَثَ عَنْ عِبَادَةٍ بِلَا تَبْجِيلٍ،
تُقَدِّسُ الرِّفْقَةَ بَيْنَ الإِنْسَانِ وَالإِلَهِ،
أَوْ تُسْتَعِيدُ الإِنْسَانَ المُتَأَصِّلَ فِي الإِلَهِ.

أَرَادَ الوُصُولَ إِلَى الرَّحَابَةِ الكَوْنِيَّةِ لِحُقُولِ العُبُورِ.
أَرَادَ أَنْ يُرْجِعَ الكَلِمَاتِ إِلَى جُذُورِهَا،
وَأَنْ يَرُدَّ الحِكْمَةَ الغَامِضَةَ إِلَى صَفَاءِ اليَقِينِ،
وَالقُوَّةَ إِلَى الرُّؤْيَا.

أَرَادَ أَنْ يَحْرُسَ الفَجْوَةَ،
وَأَنْ يَنْقَادَ إِلَى قَلْبِ الغَابَةِ.

اِبْتَهَلَ، تَضَرَّعَ كَرُوحٍ،
وَقَرَأَ عَلَى الأَشْجَارِ تَعَاوِيذَهُ.

ـ لِمَاذَا يَنْظُرُ هَذَا الإِنْسَانُ إِلَى الشَّجَرَةِ كَمَا يَنْظُرُ إِلَى إِلَهٍ؟
سَأَلَتْ صِغَارُ الحَيَوَانَاتِ.
ـ مَا الَّذِي يَدُورُ فِي ذِهْنِ هَذَا الإِنْسَانِ المَجْهُولِ؟
سَأَلَتِ الحَشَرَاتُ، وَهِيَ تَلْمَحُ سِعَةَ الهَاوِيَةِ الشَّاسِعَةِ،
وَنَزِيفَ الشَّجَرَةِ.

كَانَ يَأْسُهُ يَأْسَ آلِهَةٍ،
مُدَمِّرًا، هَائِلًا، وَغَيْرَ مَفْهُومٍ.
اِسْتَلْقَى عَلَى الأَعْشَابِ،
تَغَطَّى بِالأَغْصَانِ النَّاعِمَةِ،
وَتَظَاهَرَ بِالنَّوْمِ.

أَصْغَى إِلَى الصَّمْتِ، إِلَى نَغْمَتِهِ الصَّافِيَةِ.
لَمْ يَشْغَلْهُ حُضُورُ الأَشْبَاحِ عَنْ شُرُودِهِ،
وَلَمْ يَشْغَلْهُ اقْتِرَابُ ثَعَابِينِ الأَفْكَارِ مِنْ جَسَدِهِ.

الأَفْكَارُ صَرَخَاتُنَا المُنْعَزِلَةُ،
التِي تَغْتَسِلُ بِاليَنَابِيعِ العَمِيقَةِ.
صَرَخَاتُنَا المُرْتَعِشَةُ كَصَرْخَةٍ مَشْلُولَةٍ.

رَجُلٌ،
مَلَاكٌ يُجَاوِرُ الرُّعْبَ،
وَحَقْلٌ وَحِيدٌ
مُهَدَّدٌ بِحُضُورِنَا، وَجُنُونِنَا، وَأَسْلِحَتِنَا.
صَعِدَ إِلَى الزُّخْرُفِ الحُرُوفِيِّ المُلْتَفِّ،
مِثْلَ "أَرَابِيسْكٍ" مِنَ الأَغْصَانِ،
إِلَى رَنِينِ حُرُوفِ المَطْبَعَةِ،
الصَّاعِدِ كَنَبْتَةٍ أُرْجُوَانِيَّةٍ.

صَعِدَ إِلَى النَّبْعِ الَّذِي يَتَدَفَّقُ مَاؤُهُ الصَّافِي عَلَى الدَّوَامِ.
سَمِعَ نِدَاءَ الحُقُولِ النَّائِيَةِ،
وَتَبِعَ الضَّوْءَ إِلَى عُمْقِ الظِّلَالِ.
سَمِعَ الرَّنِينَ يَغِيبُ فِي المَاضِي،
فِي الغِيَابِ، فِي الأَلْغَازِ.
تَأَمَّلَ الوَمِيضَ الغَرِيبَ لِلثَّمَرَةِ،
وَعَرَفَ أَنَّ الإِلَهَ يَعِيشُ فِي الشَّجَرَةِ.

أَصْبَحَتِ الشَّجَرَةُ طُوطَمَهُ.

لَكِنَّ الإِلَهَ لَمْ يَكُنْ فِي الشَّجَرَةِ،
لَمْ يَكُنْ فِي الحَقْلِ،
لَمْ يَكُنْ فِي الطَّبِيعَةِ،
لَمْ يَكُنْ فِي النُّبُوءَاتِ.

صَعِدَ إِلَى عُشْبَةٍ وَحِيدَةٍ،
مُحَوَّطَةٍ بِالأَزْهَارِ وَالنَّحْلِ وَالفَرَاشَاتِ.
تَحَوَّلَتْ إِلَى رُوحٍ عَاشِقَةٍ،
تَتَغَذَّى بِتَارِيخِ التَّأْوِيلِ.

هَذِهِ العُشْبَةُ هِيَ وَلَائِي،
المَرْفُوعُ إِلَى مَصَافِّ الاسْتِعَارَةِ.
عُشْبَةٌ تُشْبِهُ المَشَاعِرَ،
تُشْبِهُ الرَّغَبَاتِ،
تَكْبُرُ مِثْلَ طَاقَةٍ نَقِيَّةٍ.

عُشْبَةٌ تُوَرِّقُ بِجَلَالٍ زُخْرُفِيٍّ،
تَشِعُّ بِجَمَالٍ فَرِيدٍ،
عَلَى الغُصْنِ المَنْقُوشِ بِدِقَّةٍ فِي سَجَّادَةِ الحَرِيرِ.

هَذِهِ العُشْبَةُ هِيَ حُزْنُ الإِلَهِ،
الَّذِي لَمْ يَحْظَ بِكَبْشِ تَضْحِيَتِي.

حَاوَلَ الْتِقَاطَ يَقَظَةِ التَّارِيخِ،
بَحَثَ عَنْ زَهْرَةٍ تُشْبِهُ حَيَاتَهُ.
فَتَّشَ بَيْنَ الصُّخُورِ،
فِي المِيَاهِ العَمِيقَةِ،
عَنْ عُشْبٍ بَعِيدٍ عَن ضَجِيجِ السُّطُوحِ.

جَمَعَ هَدِيرَ الجَدَاوِلِ وَهَسْهَسَةَ المَاءِ،
حَفِيفَ اللهَبِ، أَزِيزَ الحَشَرَاتِ،
وَرِيحَ النَّعْنَاعِ وَمَا يُتَدَاوَى بِهِ،
وَمَا تَكَسَّرَ عَلَى الأَرْضِ،
وَمَا لَا تَدُومُ خُضْرَتُهُ.

ثُمَّ أَوْقَدَ نِيرَانَهُ.
اِسْتَنَدَ إِلَى شَجَرَةٍ،
وَرَاحَ يَقْرَأُ فِي دَفْتَرِ الذِّكْرَيَاتِ:

القَلْبُ كَاهِنٌ صَلَّى مِنْ أَجْلِ الثَّمَرَةِ.
هُوَ ابْنُ فُيُوضَاتٍ،
وَحْدَهُ يَعْرِفُ مَعْنَى اليَقِينِ المَوْجُودِ فِي الصَّلَاةِ.
وَحْدَهُ يَعْلَمُ أَنَّ العُشْبَ مِثْلُ اللُّغَةِ.
وَهَا هُوَ يَدْخُلُ نَهْرَ الفَرَادِيسِ المُسْتَرَدَّةِ،
أَرَادَ أَنْ يَصْنَعَ دَوَاءً لِدَاءِ الرُّوحِ،
وَيَتَعَلَّمَ كَيْفَ يَمُوتُ.

قَالَ بِصَوْتٍ يَكَادُ لَا يُسْمَعُ:
- إِلَهِي، لَا تُثْقِلْ كَاهِلِي.
- أَصْنَعْ دَوَاءَكَ أَيُّهَا العَلِيلُ.
- إِلَهِي، أَيُّهَا الصَّدِيقُ.
- حَيَاتُكَ لَيْسَتْ سِوَى غَابَةٍ، سَافِرْ لِتَضِيعَ فِيهَا.
- إِلَهِي...
- كَافِحْ مِنْ أَجْلِ الصَّمْتِ.

صَعِدَ إِلَى ضَبَابٍ شَبَحِيٍّ،
إِلَى هَالَةِ الانْزِوَاءِ الغَامِضَةِ.
أَرَادَ أَنْ يُلْقِيَ نَظْرَةً عَلَى نَفْسِهِ فِي الظَّلَامِ،
فِي هَذَا الحُضُورِ الخَافِتِ،
فِي هَذِهِ الإِيمَاءَاتِ غَيْرِ المَرْئِيَّةِ،
الَّتِي تَحْرُسُ مَلَائِكَةُ الأَقَاصِي.

صَعِدَ إِلَى الإِشَارَاتِ،
إِلَى التَّلَاشِي بَيْنَ الأَسْمَاءِ وَالأَشْيَاءِ،
إِلَى الغِيَابِ،
ذَلِكَ الصِّنْفُ النَّادِرُ مِنَ الثِّمَارِ.

صَعِدَ إِلَى سَكِينَةِ النَّوْمِ،
النَّوْمِ السِّحْرِيِّ الَّذِي أَخْرَجَهُ مِنْ مَسِيرَةِ الزَّمَنِ.

صَعِدَ إِلَى ثَأْرِهِ الأَسْوَدِ،
إِلَى عَالَمٍ غَرِيبٍ مِنَ الجُرُوحِ وَالعَنَاءِ.
سَمِعَ جُنْدِيّاً يَقُصُّ حِكَايَاتٍ عَجِيبَةً عَنِ الحُرُوبِ،
عَنْ حَيَاةٍ نَاجِمَةٍ عن سِلْسِلَةٍ مِنَ المُصَادَفَاتِ،
عَنْ مَوْتٍ يَدُلُّ عَلَى مَا هُوَ لَاحِقٌ وَتَالٍ.

صَعِدَ إِلَى وَمِيضِ الفِضَّةِ،
وَفَكَّرَ: كَمْ نَحْنُ مَدِينُونَ لِلأَحْلَامِ السَّيِّئَةِ؟
لِلغَابَاتِ العَذْرَاءِ الَّتِي تَتَجَاوَرُ،
لِلأَصْقَاعِ المَجْهُولَةِ،
لِلْحُقُولِ البَعِيدَةِ،
لِمُتَنَزَّهَاتِ الضِّفَافِ،
وَهَذَا اللَّمَعَانِ المُشْرِقِ لِلسَّوَاحِلِ.

صَعِدَ إِلَى رُوحَانِيَّةِ الحَرْفِ،
إِلَى أُسْطُورَةِ الكَهْفِ،
إِلَى أَضْرِحَةٍ اسْتَبْدَلَتِ المَوْتَ بِخُسْرَانٍ مَجِيدٍ.

صَعِدَ إِلَى سِحْرِ كَلِمَةٍ صَامِتَةٍ،
إِلَى وَمْضَةٍ خَاطِفَةٍ مِنَ الضِّيَاءِ،
وَلَمْ يَكُنِ اللهُ فِي خَاطِرِهِ.

صَعِدَ كَمَا يَصْعَدُ كَائِنٌ يُشْبِهُ نَبْتَةً بِلَا جُذُورٍ،
فِي دَاخِلِهِ تَنْبُتُ الأَعْشَابُ،

كُلُّ عُشْبَةٍ تُصْبِحُ كِنَايَةً تَقْرَأُ العَلَامَاتِ،
تَقْرَأُ صَفْحَةَ الفِرْدَوْسِ المُنْتَقَاةَ مِنْ كُتُبِ الأَدْيَانِ،
تَقْرَأُ عِبَارَةً تَقُولُ: **الكَهْفُ – اسْتِنَارَةٌ.**

هَذِهِ قَرَابَةٌ نَابِعَةٌ مِنْ شَذْرَةٍ إِلَهِيَّةٍ.
أَنَا عُشْبٌ، وَلِهَذَا أَتَكَلَّمُ.
أَنَا لَوْنٌ، يَرْسُمُ أَبْوَاباً جَدِيدَةً لِلْخُلُودِ.
أَنَا ضَوْءٌ، حِينَ تُؤَلِّفُ الطَّبِيعَةُ رَوَائِعَهَا الْمُلَوَّنَةَ،
وَتُبَادِلُ السِّلَالَ الْمُقَدَّسَةَ بَيْنَ الآلِهَةِ وَالبَشَرِ،
كَشَاهِدٍ عَلَى تَضَامُنٍ عَرِيقٍ.

أَنَا رُوحٌ،
أَنَا الحَقُّ المَقْطُوعُ عَلَى غَيْبِهِ،
الشَّأْنُ المَحْجُوبُ عَنْ شُؤُونِ الآخِرَةِ.
أَنَا فِكْرَةُ اللّٰهِ،
أُصْغِي إِلَى مَا تَقُولُهُ رَسَائِلُ العُشْبِ،
كُلُّ عُشْبَةٍ لَامَسْتُهَا تُصْبِحُ عُشْبَةً شَافِيَةً.

أَنَا ثَمَرَةٌ،
هَذَا عَرْبُونِي المُقَدَّمُ لِرِشْوَةِ الحَيَاةِ.

صَعِدَ إِلَى مُعْجِزَةٍ سَرْمَدِيَّةٍ
(لَيْسَ لَدَيْهِ مَا يَقُولُهُ بِشَأْنِهَا)
ذَهَبَ إِلَى تِلْكَ المُغَامَرَةِ،
مُغَامَرَةِ اكْتِشَافِ شَيْءٍ جَدِيدٍ،
حِينَ لَا تَكُونُ المَعْرِفَةُ طَاغِيَةً.
صَعِدَ إِلَى حَنِينٍ مُغَطًّى بِغُبَارِ التُّخُومِ البَعِيدَةِ.
لَيْسَ لَهُ مَوْهِبَةُ الإِيمَانِ،
لَكِنَّهُ صَعِدَ... صَعِدَ فَحَسْبْ.
وَقَدْ عَجَنَهُ قَلَقُ الصُّعُودِ،
وَأَنْهَكَهُ غَرَقُ الأَفْكَارِ،
تِلْكَ الأَفْكَارُ الَّتِي أَنْجَبَتْ أَجْمَلَ الآلِهَةِ.

صَعِدَ إِلَى مَنْبَعِ النُّورِ،
فَسَمِعَ صَوْتَ المِثَالِ:
ـ لَا تَذْهَبْ بَعِيداً، عُدْ إِلَى نُورِكَ الدَّاخِلِيِّ؛
فَفِي دَاخِلِكَ تُقِيمُ الحُقُولُ النَّائِيَةُ.

صَعِدَ إِلَى فِرْدَوْسِ الحَنِينِ،
كَمَا يَصْعَدُ الصِّرَاطُ إِلَى صَرْحِهِ.
كَانَ الكَوْنُ أَعْمَى،
وَكَانَ الأَزَلُ يَنْقَادُ إِلَى المُعْجِزَةِ،
وَكَانَتِ البُرُوجُ تَحْمِي مَغَارَةَ الأَبَدِ،
وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَصْعَدَ،

وَيَمْضِيَ بِهَذَا الظَّمَأِ العَجُولِ،
يَسْلُبُ مِنَ الغَيْبِ كُنُوزَهُ.

صَعِدَ إِلَى فِتْنَةِ المَلَكُوتِ،
وَلَمْ تَجْرُؤِ المَلَائِكَةُ عَلَى نِدَائِهِ.

صَعِدَ إِلَى زَمَنٍ هَجَرَتْهُ الآلِهَةُ،
صَعِدَ إِلَى قُوَّةِ التَّنَبُّؤِ،
وَقَدَّمَ النُّبُوءَاتِ لِلأَرْبَابِ.

جَمَعَ بُذُورَ المَاضِي،
وَأَخْرَجَهَا مِثْلَ ثِمَارِ المُسْتَقْبَلِ.
الكَلِمَاتُ كَالأَفْكَارِ: مُجَرَّدُ عَلَامَاتٍ،
وَالأَشْخَاصُ وَالأَشْيَاءُ: مُجَرَّدُ أَخِيلَةٍ.

رَأَى رُوحَ النَّهْرِ وَرُوحَ الغَابَةِ،
الرُّوحَ الَّتِي اتَّخَذَتْ مِنَ الكِتَابِ سَكَنَاً مُؤَقَّتاً.
فِي كِتَابٍ مَدْفُونٍ تَحْتَ شَجَرَةِ صَنَوْبَرٍ،
قَرَأَ عَنْ عَشَّابٍ يَسِمُ جَسَدَهُ بِجُرُوحٍ دَامِيَةٍ،
وَيَطُوفُ حَوْلَ الشَّجَرَةِ.
عَنْ كِتَابٍ مَدْفُونٍ فِي حُفْرَةٍ،
حَيْثُ مَاتَتْ حَيَاتُهُ السَّابِقَةُ،
وَيَحْلُمُ أَنْ يُبْعَثَ مِنْ جَدِيدٍ،
تُحْيِيهِ وَرَقَةٌ سَقَطَتْ مِنْ شَجَرَةِ الصَّنَوْبَرِ المَدْفُونِ تَحْتَهَا.

عَمَّدَ بِمَاءِ المَعْمُودِيَّةِ،
غُسْلٍ بِالعُشْبِ،
بِرُوحٍ اتَّخَذَتْ مِنَ الكُتُبِ سَكَنَاً لَهَا،
بِالكَلِمَاتِ،
بِكَبْسُولاَتٍ مَصْنُوعَةٍ مِنْ بُقُولِ البَرِّيَّةِ،
بِالطَّبِيعَةِ الَّتِي تَلْمَعُ كَمَعْبُودٍ فِي دَاخِلِنَا.

فِي دَاخِلِهِ ظَمَأَ الْمُسَافِرِ، قَلْبُهُ نَبْعٌ وَرُوحُهُ حَدِيقَةٌ...
اِقْتَرَبَ مِنَ النَّبْعِ وَتَذَوَّقَ الثَّمَرَةَ...
أَرَادَ الاِنْتِصَارَ عَلَى الذَّاتِ...
عَاشَ فِي الزُّرْقَةِ وَعَرَفَ أَنَّ الْحَقِيقَةَ فِي الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ الْعَدَمِ...
بَحَثَ فِي الْغَابَةِ عَنْ ذِكْرَيَاتٍ رَآهَا تَقْتَرِبُ، ذِكْرَى تِلْوَ الأُخْرَى...
اِحْتَضَنَا بَعْضُهُمَا... تَحَدَّثَا...
لَمْ يَكْسَبْ أَحَدُهُمَا ثِقَةَ الآخَرِ...
كُلٌّ ذَهَبَ إِلَى حَالِ سَبِيلِهِ.

مَضَى فِي الْغِيَابِ، غِيَابِهِ عَنِ الْعَالَمِ الَّذِي عَرَفَهُ يَوْمًا مَا...
أَرَادَ أَنْ يَخْتَبِرَ الْعَالَمَ مِثْلَ مُسَافِرٍ عَبْرَ الزَّمَنِ...
أَنْ يَكْتُبَ عَنِ الأَشْبَاحِ الَّتِي تَرَكَتْ عَلَامَةً عَلَى رُوحِهِ يَتَعَذَّرُ طِلَاؤُهَا...
عَنِ النَّمِرِ الَّذِي يَتَجَوَّلُ فِي الظِّلِّ...
عَنِ الأَفْكَارِ الَّتِي تَهْرُبُ مِنْهُ، وَلَا تُطِيعُهُ...

عَنِ الرُّوحِ الَّتِي تَفِيضُ عَنْ هَذَا الْجَسَدِ وَتَتْرُكُهُ...
عَن هَذَا التَّيْهِ الثُّلاثِيِّ: غَيْرِ النِّهَائِيِّ، الأَبَدِيِّ، وَالْمُطْلَقِ...
عَنِ الْجَمَالِ الْخَافِتِ فِي الصَّدَى...
عَن تَمَلْمُلِ الْعُشْبِ...
عَنِ الاِسْمِ الْمُدَوَّنِ عَلَى أَلْوَاحِ الْمَصِيرِ...
عَنِ الرُّوحِ الطَّاهِرَةِ الَّتِي يَقُودُهَا حَارِسُ الْبَوَّابَةِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى.

صَعِدَ إِلَى الْقُدْسِيِّ، إِلَى مُسْتَحِيلٍ لَا يَقْهَرُهُ أَلَمٌ...
صَعِدَ إِلَى صَيْحَةٍ غَرِيبَةٍ، إِلَى مُتْعَةٍ مَشُوبَةٍ بِالْأَلَمِ...
أَرَادَ أَنْ يَحْمِلَ خَيْبَةَ الْأَمَلِ كَقِلَادَةٍ،
وَأَنْ تَكُونَ رُوحُهُ مَفْتُوحَةً عَلَى اسْتِقْبَالِ اللَّحْظَةِ الْحَاضِرَةِ.
قَالَ: الْحَيَاةُ تُشْبِهُ عُشْبَةً،
يَجِبُ لَمْسُهَا ثُمَّ تَرْكُهَا،
عُشْبَةٌ صَغِيرَةٌ جِدًّا، هَشَّةٌ وَسَرِيعَةُ الْفَنَاءِ مِثْلَ أَيَّامِنَا.

صَعِدَ إِلَى طُقُوسِ التَّطَهُّرِ...
إِلَى أُضْحِيَاتٍ لَا يُرَاقُ فِيهَا دَمٌ...
إِلَى النُّبُوءَاتِ...
إِلَى الرُّوحِ الْحَارِسَةِ الَّتِي تَصُوغُ أَحْلَامَنَا...
إِلَى طَبِيعَةٍ دَائِمَةِ الْفَيْضِ تُطَهِّرُ الْجَسَدَ فِي كَمَالِهِ،
لِيَسْتَعِيدَ حَيَوَاتِهِ السَّابِقَةَ.

صَعِدَ إِلَى نَقَاءٍ مَحْضٍ وَكَمَالٍ خَالِصٍ،
إِلَى نَبْعِ الْحِكْمَةِ حَيْثُ يَعِيشُ الْمُتَعَالِي،
إِلَى مُجَاهَدَاتٍ تَجْمَعُ جَوَاهِرَ الْأَشْيَاءِ...
تَذَوَّقَ الْخَوْفَ الْمُعَلَّقَ فِي الْهَوَاءِ...
سَئِمَ الاِنْتِظَارَ...
حَفَرَ الْأَرْضَ...
وَصَلَ إِلَى مَرْكَزِهَا...
هَذِهِ الْحُفْرَةُ هِيَ حَيَاتِي...
لَبَّى نِدَاءَاتِ الْقِيَامَةِ حَيْثُ يَتَنَادَى أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ...
تَصَالَحَ مَعَ الْعَدَمِ.

عَادَ إِلَى رُوحِهِ الَّتِي يَقْطُنُهَا مُنْذُ الْبِدَايَةِ.

شَعَرَ بِضَوْءٍ غَرِيبٍ يَسْرِي فِي جَسَدِهِ...
صَمْتٌ ثَقِيلٌ،
ظَلَامٌ،
وَكَانَ وَحْدَهُ فِي قَلْبِ الْغَابَةِ.

فِي الطَّرِيقِ إِلَى شَجَرَةِ النُّورِ

رَأَى فِيمَا يَرَى السَّائِرُ، خَبَايَا الْخَيَالَاتِ السِّرِّيَّةَ،
رَأَى فِيمَا يَرَى الْحَالِمُ أَنَّهُ يَمْضِي إِلَى قَبْرٍ لَيْلِيٍّ،
يَمْضِي إِلَى الرَّحِمِ، إِلَى الْغُرُوبِ، إِلَى سِحْرِ الطُّفُولَةِ.

هُنَاكَ، فِي حُقُولِ الْقَمْحِ الْمُتَمَوِّجَةِ،
رَأَى قُوَى الطَّبِيعَةِ الْفَيَّاضَةَ.

سَمِعَ أَغَانِيَ الْمَهْدِ، حَمَلَهَا فِي دَاخِلِهِ إِلَى الْأَبَدِ،
ذَهَبَ إِلَى الْيَنَابِيعِ الْمُقَدَّسَةِ،
وَدَخَلَ فِي حِضْنِ النُّورِ الشَّامِلِ.



لَوْنُهُ لَوْنُ الْخُضْرَةِ

عَنْ شَجَرَةِ الْكَوْنِ وَأَعْشَابِهَا.

(فَرَأَيْتُ الْكَوْنَ كُلَّهُ شَجَرَةً) .

ابْنُ عَرَبِيٍّ.

رَأَى الْكَوْنَ كُلَّهُ شَجَرَةً مَرْسُومَةً فِي صُورَةِ (كُنْ)
وَلَكِنَّهُ أَخْطَأَ فِي تَدْوِينِ نُونِ نُورِهَا.
لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ طَبِيعَةٌ،
كَانَ الشَّيْطَانُ يَسْقُطُ مِنْ أَنْهَارِ الْفِرْدَوْسِ كَنَجْمٍ مُلْتَهِبٍ،
كَانَت الْكَائِنَاتُ مُدَلَّلَةً، لَا تَعْرِفُ أَنَّ لَهَا عُقُولاً.
كَانَ الْمَلَائِكَةُ بِلَا رِيشٍ،
كَانَت الْآلِهَةُ تَصْنَعُ الْمُعْجِزَاتِ،
كَانَ الرِّجَالُ حُرَّاسَ الْبَذْرَةِ،
كَانَت النِّسَاءُ حَارِسَاتِ اللُّغْزِ.

وَهُوَ...
يَصْعَدُ مِنْ "مَلَكٍ" إِلَى "مَلَكُوتٍ" زِيدَتْ فِيهِ التَّاءُ لِلْمُبَالَغَةِ.
يَصْعَدُ مِنْ غَيْبٍ يَقِلُّ أَوْ يَكْثُرُ، إِلَى مَعَارِفَ مُحَرَّمَةٍ.
يَصْعَدُ كَعَابِرٍ إِلَى الخُمُولِ اللَّانِهَائِيِّ،
يَسْمَعُ قُوَّةَ الصَّمْتِ الغَامِضَةَ،
تَقُولُ: الجَمَالُ لَا يُضِيءُ العَالَمَ، فَهُوَ يُؤْلِمُ، يُحْرِقُ، وَيَخْلُقُ جُرُوحًا لَا تَلْتَئِمُ أَبَدًا،
إِنَّهُ لَعْنَةٌ تُوَلِّدُ الكَسَلَ وَالتَّرَاخِي، وَتُحَوِّلُ الحَيَاةَ إِلَى قَدَرٍ مِنَ البُؤْسِ
تَقُولُ: الكَرَاهِيَةُ جَيِّدَةٌ، لِأَنَّهَا سَاخِنَةٌ، صُلْبَةٌ، قَوِيَّةٌ، عَلَى عَكْسِ المَحَبَّةِ الرَّخْوَةِ.
تَقُولُ: المَوْتُ هُوَ وَعْدُ الحَيَاةِ غَيْرِ المَدْوْنِ.
وَالقُبْحُ نِعْمَةٌ تَسْتَدْعِي الاسْتِثْنَاءَ.

وَهُوَ...
يَصْعَدُ إِلَى أَقْوَاسٍ جَنَائِزِيَّةٍ مَضْفُورَةٍ مِنَ الْأَزْهَارِ،
يَصْعَدُ إِلَى رَعَشَاتٍ عَمْيَاءَ تَتَغَذَّى عَلَى هَزَّةِ الْمَوْتِ الْمُنْتَشِي.
يَصْعَدُ كَكَاهِنٍ يُقَدِّمُ ثَمَرَةً مُقَدَّسَةً إِلَى سَحَرَةِ الْأَسْرَارِ،
يَسْمَعُ رَسَائِلَ الْعُشْبِ،
يُصْغِي إِلَى نَصَائِحِ الْيَنَابِيعِ،
وَيَتَحَالَفُ مَعَ الْهُبُوبِ.

يُخَزِّنُ السَّنَوَاتِ مِثْلَ الْبُذُورِ قَبْلَ مَجِيءِ قِيَامَةِ الْإِلَهِ.
يُرِيدُ أَنْ يُمْسِكَ بِالزَّمَنِ الَّذِي لَمْ يَعُدْ مَوْجُودًا،
وَمِنْ أَجْلِ رُؤْيَةِ الْمَلَكِ اِنْتَظَرَ بَرْقَ السَّمَاءِ.
كَانَتِ الطَّبِيعَةُ فَيَّاضَةً،
وَالصُّوَرُ مُفَارِقَةً،
وَكَانَ الْمَجَازُ عَارِفًا بِعِرْفَانِهِ.

كَانَتِ الشِّعْبُ الْمَرْجَانِيَّةُ تَتَكَلَّمُ عَنِ الْأَلَمِ،
وَالْيَنَابِيعُ تَتَحَدَّثُ عَنِ الْأَشْبَاحِ.

كَانَتِ الْحَيَاةُ رَهِينَةَ الْأَسَاطِيرِ،
لَمْ تَكُنِ الطَّاقَةُ تُعَمِّرُ الْكَوْنَ،
وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ عَالَمٌ.

كَانَتِ الذَّاتُ الْإِلَهِيَّةُ تَنْغَمِسُ فِي التَّكْرَارِ الَّذِي يُنْتِجُهُ الْمَلَلُ،
وَلَمْ تُفَكِّرْ بِالاِمْتِلَاكِ - (اِمْتِلَاكِ الْعَالَمِ كُلِّهِ)
وَهُوَ... يَتَكَلَّمُ عَنِ الْعَوَزِ.
(الْعَوَزِ الَّذِي يُشْبِهُ الْفَقْرَ دُونَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حَاجَةً)
يُرِيدُ التَّأَمُّلَ كَإِلَهٍ،
وَيُدْرِكُ أَنَّهُ كَائِنٌ أَبَدِيٌّ،
بَتْلَةٌ وَرَقِيَّةٌ مِنْ وَعْيٍ كَوْنِيٍّ.

يَصْعَدُ إِلَى غُيُومٍ تَجْلِسُ عَلَيْهَا كَائِنَاتٌ مِنْ نُورٍ،
يَتَلَمَّسُ كِيَانَاتٍ حَيَّةً تَفْتَرِضُ حِرَاسَةَ الْمَصِيرِ.

كَانَ الاِنْطِفَاءُ فِي أَطْوَارِ السَّدِيمِ الْخَافِتَةِ يَتَصَالَحُ مَعَ التَّنْجِيمِ،
وَيُبَجِّلُ السِّحْرَ.

كَانَ الزَّمَنُ يَنْقَلِبُ عَلَى ظَهْرِهِ،
وَتَتَدَافَعُ الطَّبِيعَةُ لِمُعَانَقَةِ الْكَمَالِ.

كَانَ الْخُفُوتُ يَحْكِي عَنْ أَسَاطِيرِهِ الْقَدِيمَةِ،
وَالْأَقْدَارُ تَتَعَلَّمُ قَبُولَ الْمُفَاجَأَةِ.

بِلَا أُفُقٍ يَعُجُّ بِالْمَتَاهَاتِ،
شَهِدَ النُّورَ فِي تِلْكَ النُّقْطَةِ الْعَشْوَائِيَّةِ.
بَحَثَ عَنِ الْمُسْتَدَامِ فِي الْمَسَارَاتِ الَّتِي ضَلَّتِ الطَّرِيقَ،
بَحَثَ عَنِ الطَّوَافِ الْمُقَدَّسِ الْمُتَشَكِّلِ فِي الْمَجَازَاتِ،
بَحَثَ عَنْ رُوحِ النَّمِرِ الْمُلَازِمَةِ لِلْأَسَاطِيرِ،
بَحَثَ فِي الْمُنْعَرَجَاتِ، فِي الْمَسَارَاتِ الْمُسْتَقِيمَةِ الْغَافِلَةِ.
اِنْتَظَرَ الْأَرْوَاحَ،
اِنْتَظَرَ الْأَشْبَاحَ،
اِنْتَظَرَ الْعَائِدِينَ الَّذِينَ طَبَعُوا الْقَلَقَ بِالرَّغَبَاتِ.
اِكْتَشَفَ صُورَةَ الْأَبِ فِي الْإِلَهِ،
اِكْتَشَفَ الشَّبَحَ الَّذِي يَظْهَرُ وَيَخْتَفِي فِي سَاعَةِ الْحَائِطِ.

يُرِيدُ أَنْ يَنْعَمَ بِالسَّلَامِ،
جَسَدُهُ مَسْكُونٌ بِرُوحٍ لَامِعَةٍ،
رُوحُهُ تَأْنَسُ بِأَرَقٍ طَوِيلٍ.

يُرِيدُ الاِسْتِيطَانَ فِي أَرْضِ الْخَيَالِ،
لَا يُرِيدُ الذَّهَابَ إِلَى أَرْضِ الْمَوْتَى حَيْثُ يَحْيَا النَّاسُ.

يُرِيدُ هَذَا الْحُزْنَ الْأَعْزَلَ كَالْحَيَاةِ،
هَذِهِ الذِّكْرَيَاتِ الزَّائِفَةَ الَّتِي يَحْلُمُ أَنَّهُ عَاشَهَا.

يَصعَدُ كَوُجودٍ مَحضٍ يَضُمُّ عابِراً إِلى الدَّمِ المُتَخَثِّرِ في أَحلامِهِ. يُريدُ أَن يَهرُبَ مِنَ الكَلامِ، مِنَ الصَّمتِ، مِنَ البُذورِ، مِنَ الجُذورِ، مِنَ الخَيالِ، مِن هٰذا السَّردِ المُتَشائِمِ. بَحَثَ عَنِ اليَنابِيعِ الحارَّةِ لِيَرسُمَ في اِنْعِكاسِها. صُورَتَهُ الشَّخصِيَّةَ. يُزَخْرِفُ الأَساطيرَ وَيَنسُجُ الحِكاياتِ. أَرادَ أَن يَمُرَّ عَبْرَ الخَيالِ، أَن يَسكُنَ في المَرايا، يُلاحِظُ اختِفاءَهُ الذَّاتِيَّ. يَكتُبُ كَلِمَةً صامِتَةً تَنظُرُ إِلى حَياتِهِ كَنُصْبٍ تَذكارِيٍّ لِجُمْجُمَةٍ تُطلِقُ الصَّرخاتِ.
لكِنَّ جَسَدَهُ فَرَّ مِنَ الفُرجَةِ، مِن هٰذا المَظهَرِ الوَهَّاجِ لِلوَحشِ. كانَتِ الحُقولُ النَّائِيَةُ قَريبَةً مِنهُ، لٰكِنَّهُ لَم يُجَرِّبِ الذَّهابَ إِلَيها. كانَتِ المَزاراتُ بِلا غُرَباءَ، وَخَيالُ الشَّقاءِ يَسكُنُ غِيابَهُ.
كانَ يُريدُ اِجتِيازَ اِمتِحانِ الحَياةِ لِيُصبِحَ مُؤَهَّلًا لِلأَبَدِيَّةِ.
كانَتِ الأَساطيرُ مُعَلَّقَةً في اللَّامَحدودِ، حَيثُ يَختَلِطُ الإِغواءُ بِصَحراءِ المُتْعَةِ، وَالرَّعشاتُ العَمياءُ بِالمَوتِ المُنتَشِي. كانَتِ الرُّؤيا مَدعُوَّةً إِلى مُؤازَرَةِ مُتْعَةٍ تَتَخَطّاها، وَكانَ المَعنى عَلى طَرَفِ اللِّسانِ.

عِندَما حَدَثَ ذٰلِكَ، كانَ العَرّافُ يَقرَأُ خَرائِطَ الطَّريقِ وَيُشِيرُ إِلى البُعدِ المَشؤومِ لِلوُجودِ. وَكانَ السَّاحِرُ يَطلُبُ المُساعَدَةَ مِنَ الأَرواحِ.

كانَ الأَرواحِيُّونَ يُؤمِنونَ بِغِيابِ الحَواجِزِ بَينَ البَشَرِ وَالكائِناتِ وَالتَّضاريسِ. يَتَواصَلونَ مَعَ الطَّبيعَةِ مُباشَرَةً عَبرَ الكَلِماتِ وَالأَغاني وَالرَّقصِ وَالطُّقوسِ. الصَّيّادُ يُخاطِبُ الفَريسَةَ أَن تَغفِرَ لَهُ. والشَّامانُ يَتَّصِلُ بِأَروحِ المَرضى وَيُحاوِلُ تَهدِئَتَها. والزُّهّادُ في الصَّحارِي الرُّوحِيَّةِ حاضِرونَ في الصَّفاءِ التّامِّ لِلكَونِ.

كانوا يُؤمِنونَ أَنَّ الصَّخرَةَ في أَعلَى الجَبَلِ لَدَيها رَغَباتٌ، رُبَّما تَغضَبُ أَو تَبتَهِجُ مِمّا يَفعَلُهُ البَشَرُ. هٰذِهِ الصَّخرَةُ كائِن حَي يُراقِبُ الإِداناتِ اللّاذِعَةَ الَّتي تُعيدُنا إِلى حَمأَةِ الفَناءِ. يُراقِبُ الرَّبَّ، مُراقِبَ السّاعاتِ الماهِرَ الَّذي يُراقِبُ الأَحداثَ في تَدَفُّقِها، وَالنُّجومَ الَّتي يَخبُو ضَوءُها، وَيُراقِبُ الأَرضَ الَّتي سَتَظَلُّ مُشتَعِلَةً بِالحُروبِ إِلى الأَبَدِ، وَلا يَتَدَخَّلُ.

يُمكِنُكَ ـ أَيُّهَا العابِرُ ـ مُخاطَبَةُ الصَّخرَةِ.

لَيسَتِ الصَّخرَةُ وَحدَها، بَلِ الشَّجَرَةُ وَالهَضبَةُ وَالجَدوَلُ وَالنَّبعُ وَالمَرجُ وَالغِربانُ وَالذِّئابُ وَالذُّبابُ وَالحَشَراتُ وَالفِئرانُ... وَكُلُّ المَخلوقاتِ غَيرِ المَرئِيَّةِ مِنَ النَّوعِ الَّذي نُسَمِّيهِ هٰذِهِ الأَيّامَ:

شَياطينَ،
وَجِنِّيّاتٍ،
وَمَلائِكَةً.

رَأى الكَونَ كُلَّهُ شَجَرَةً مَرسومَةً في صُورَةِ (ذُهولٍ فاتِنٍ)، لٰكِنَّهُ أَخطَأَ في تَدوينِ الإِيماءاتِ الحَكيمَةِ لِعاشِقٍ يَتَأَمَّلُ المَعرِفَةَ. لَم يَكُنِ الوَحيُ نِتاجَ الأَهواءِ، بَل كانَ نِتاجًا لِمُتَأَمِّلٍ وَحيدٍ يُريدُ إِيقاظَ ذِكرى القُدّاسِ الخالِصِ لِلمُطلَقِ.

لَم تَكُنِ الكِياناتُ المُخاطَبَةُ كائِناتٍ حَيَّةً، بَل كانَتِ الحُدوسُ تَهبِطُ إِلى العالَمِ السُّفلِيِّ وَتَتَخاصَمُ مَعَ ظِلالِ المَوتى. لَم يَكُنِ الإِلٰهُ مُطلَقَ القُدرَةِ وَيُديرُ العالَمَ كَما يَحلو لَهُ، بَل كانَ اليَقينُ الفاجِعُ مُرشِدًا لِلأَرواحِ.

لَم يَكُنِ المَوتُ هُوَ المَدرَسَةَ الثَّانَوِيَّةَ لِلمَنفى، بَل كانَتِ الحَيَواتُ مَكسُوَّةً بِالنُّذورِ.

عِندَما حَدَثَ ذٰلِكَ لَم يَكُن يَدري، هَل كانَ مُستَيقِظًا أَم نائِمًا... صَوتُهُ خافِتٌ... تَملَؤُهُ الدَّهشَةُ... نَقِيٌّ وَأَبَدِيٌّ... في المِرآةِ اِلْتَقَطَ صُورَةَ آلِهَةٍ تَقطُنُ في داخِلِهِ... شَعَرَ أَنَّها تُحَدِّقُ في عُيونِهِ. أَرادَ إِخراجَها وَإِبقاءَها في الهَواءِ مِثلَ كُرَةِ الطّائِرَةِ، مِثلَ طائِرٍ يَحُطُّ عَلى الكَتِفِ وَيَبني عُشَّهُ بِهُدوءٍ.

رَأى نَفسَهُ يَلعَبُ بِقِناعٍ يُشبِهُهُ... خَلَعَ مَلابِسَهُ... وَقَفَ عارِيًا... اِرتَجَفَتِ المِرآةُ... اِرتَجَفَ العالَمُ وَتَلَعْثَمَتِ الحَياةُ... غابَ في الزُّجاجِ المُهَشَّمِ... لَم يَتَعَرَّف عَلى نَفسِهِ... أَرادَ تَأويلَ الفَناءِ عَلى أَنَّهُ مُوافَقَةٌ بَينَ الإِنسانِ وَالكَونِ.

الاِحتِفاءُ بِالطُّقوسِ المُلغَزَةِ وَكِتابَةُ شاهِدَةِ القَبرِ (وُلِدَ في بَغدادَ وَماتَ في لاهاي، لٰكِنَّهُ عاشَ في مَدينَتِهِ الخاصَّةِ). أَرادَ الإِقامَةَ عَلى أَرضٍ مُتَحَرِّكَةٍ... أَن يَعيشَ الرَّغبَةَ العارِمَةَ في التِّيهِ وَالتِّرحالِ... الخُروجَ مِن شَرنَقَةِ الذّاتِ وَالجُنُوحَ نَحوَ الضَّياعِ... الاِنطِلاقَ نَحوَ الأُفُولِ المُتَسارِعِ لِنَجمِ حَياتِهِ...

أَرادَ أَن يَكتُبَ تِلكَ الكَلِمَةَ الصّامِتَةَ، أَن يَسمَعَ النَّبرَةَ السِّرِّيَّةَ لِلخرسِ. أَن يَكتُبَ الحَياةَ كَما لَو كانَت قَصيدَةً – يَرسُمُها كَما لَو كانَت نَبتَةً أَو عُشبًا... أَرادَ أَن يَكتُبَ كِتابًا مِثلَ فُلكِ نُوحٍ، كِتابًا يَتَضَمَّنُ الأَجناسَ الأَدَبِيَّةَ كُلَّها، مِنَ الشِّعرِ إِلى القِصَّةِ إِلى المَقالَةِ، إِلى الحِوارِ. مِنَ الرِّسالَةِ إِلى الرَّسمِ، كُلُّ شَيءٍ يُمكِنُ جَمعُهُ في هٰذا الكِتابِ.

حَلِمَ بِالاِقتِباسِ مِن كُلِّ جِنسٍ وَنَوعٍ، تَختَلِطُ الأَغراضُ بِالرُّؤى، وَالكَلامُ بِالصَّمتِ، وَالنُّورُ بِالظَّلامِ، وَالكِتابَةُ بِالمَحوِ، وَالأَجناسُ بِالحِكاياتِ، وَالشِّعرُ بِالرَّسمِ، وَالنَّقدُ بِالمَلحَمَةِ.
كِتابٌ تَسبَحُ الكائِناتُ في مِياهِ صَفَحاتِهِ، وَحينَ تَصِلُ إِلى اليابِسَةِ تَعتَقِدُ أَنَّها في أَرضٍ جَديدَةٍ، تَقفِزُ إِلى الصَّفَحاتِ البَيضاءِ وَتَتَوالَدُ في عالَمٍ جَديدٍ. سَيَتَحَوَّلُ الأَسَدُ إِلى فَراشَةٍ،

وَالأُفعى إِلى وَردَةٍ، وَالغُرابُ إِلى حَمامَةٍ، وَالقَاتِلُ إِلى قِدّيسٍ، وَالقَصيدَةُ إِلى ثَمرَةٍ، وَالشّاعِرُ إِلى عَشّابٍ.

عِندَما حَدَثَ ذٰلِكَ، كانَت ذِكْرَيَاتُ المِحنَةِ تَقطُنُ داخِلَهُ مِثلَ بَيتٍ مُشِعٍّ. كانَت أَفكارُهُ مَرسومَةً كَلَوحَةٍ، وَأُغنِيَّاتُهُ مُشرِقَةً كَالرَّبِّ.

كانَ الخَلاصُ مِرسَاةَ الأَمَلِ، وَهُوَ يُريدُ الخَلاصَ بِالمَرَضِ، بِتَدمِيرِ الذّاتِ، بِالاِنطِفاءِ: لَحظَةَ الصَّمتِ الأَسمَى. لٰكِنَّهُ رَفَضَ فِكرَةَ الاِنتِحارِ، لِأَنَّ الآلِهَةَ وَالأَرواحَ وَكائِناتِ النُّورِ كانَت أُولى الكائِناتِ الَّتي ظَهَرَت عَلى أَرضِ أَحلامِهِ، عِندَما كانَتِ الأَفكارُ مَلائِكَةً.

حاوَلَ ضَبطَ تَوازُنِهِ مَعَ العالَمِ الحَقيقيِّ، وَفي اللَّحظَةِ الَّتي استَيقَظَ المَلاك فيها، أَرادَ أَن يَمحُوَ حَياتَهُ العَتِيقَةَ بِهٰذا الشَّوقِ المُلتَهِبِ إِلى الأَبَدِيَّةِ، بِهٰذا الفَراغِ الَّذي لا يُمكِنُ مَلؤُهُ أَبَدًا، بِهٰذا الاِمتِلَاءِ الَّذي يَظهَرُ كَصَرخَةِ اِستِغاثَةٍ.

الاِمتِلَاءُ عَنِ العَوَزِ... عَوَزٌ يَنتَشِرُ في كُلِّ شَيءٍ حَولَنا... يَتَمَدَّدُ في دَواخِلِنا... يَسكُنُنا... يَملأُ جَسَدَنا وَيُنِيرُنا.

رَأى الكَونَ كُلَّهُ شَجَرَةً مَرسومَةً في صُورَةِ (كائِنٍ)، وَلٰكِنَّهُ أَخطَأَ في رَميِ الخَطِيئَةِ إِلى نارِ الاِعتِرافِ المُطَهِّرَةِ. لِهٰذا جَلَسَ فَوقَ الوَحلِ، أَغلَقَ عَينَيهِ وَسَمِعَ أُغنِيَّةَ العُشبِ، سَمِعَ اِهتِزازَ الصَّوتِ، سَمِعَ طُبُولَ الصَّمتِ الغامِضَةَ، سَمِعَ الاِنعِكَاسَ الضَّوئِيَّ المُقرّون بِالإِشاراتِ...

مَرَّت بِهِ نَسمَةٌ وَحيدَةٌ، فَفَتَحَ عَينَيهِ عَلى حَقيقَةٍ جَديدَةٍ:
اِسمَعْ - يا عَشّابُ - اِسمَعْ هٰذا التَّفاهُمَ المُتَبادَلَ مَعَ اللّامُتنَاهِي،
اِسمَعِ البَريقَ التّائِهَ الَّذي يَسكُنُ داخِلَنا بَعيدًا عَن صَفحِ الإِلٰهِ العارِمِ،
اِسمَعِ الشَّرَّ النَّرجِسِيَّ الَّذي تُطلِقُهُ جَمهَراتُ المَلائِكَةِ العُلوِيِّينَ،
اِسمَعِ الكَلِمَةَ الَّتي تَسمَعُ حَديثَ ذاتِها:
(هُوَ)
(هُوَ)
(هُوَ)
لا أَنا، لا نَحنُ، لا أَحَدَ،
مُجرَّدُ نُقطَةٍ صَغيرَةٍ تَضيعُ في الخُمُولِ اللّانهائِيِّ.



بِلَوْنِ الْوَرْدِ

(كُلُّ الْأَشْيَاءِ مَلأى بِالْآلِهَةِ).

طَالِيس

١

تَأَمُّلِيُّونَ،
عِبَادَتُهُمُ الصَّمْتُ.
حِينَ يَبْتَسِمُونَ مِنْ طَرَفِ شِفَاهِهِمْ، يَقْتَرِبُونَ مِنْ حَقِيقَةٍ أَعْلَى
مِنْ هَذَا السُّكُونِ الْمُوَقَّرِ، هَذَا الْحَقْلِ النَّائِي، هَذَا الْمَجْهُولِ الْخَصْبِ.
يَحْتَفُونَ بِالرُّخَامِ، بِالصَّوْمِ، بِهَذِهِ الْأَعْمَاقِ السَّحِيقَةِ.
يُنْشِدُونَ:
اَلظُّلْمَةُ فَضَاءٌ آمِنٌ،
وَالسَّوَادُ نَبْعُ الْعَدَالَةِ.

فِي اللَّيْلِ، قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ،
قَبْلَ أَنْ يَعُودُوا إِلَى صَوَامِعِهِمْ،
يُقَدِّمُونَ الْقَرَابِينَ لِلنِّدَاءَاتِ الْبَعِيدَةِ،
وَيَدْفِنُونَ الْكُنُوزَ.

٢

الْإِخْفَائِيُّونَ،
الْمُعَلِّمُونَ،
الْمُلْهَمُونَ،
الْكَائِنَاتُ الْمُسْتَنِيرَةُ.
بِطِيبِ خَاطِرٍ قَامُوا بِدَوْرِ التَّبْلِيغِ،
وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ غَادَرُوا الْأَرْضَ بِأَجْسَادِهِمْ،
إِلَّا أَنَّ كَلِمَاتِهِمُ ارْتَقَتْ بِالْبَشَرِيَّةِ آلَافَ السِّنِينَ.
قَدَّمُوا لَنَا بِيئَةً آمِنَةً،
وَإِسْعَافَاتٍ أَوَّلِيَّةً رُوحَانِيَّةً.

٣

الشَّامَانِيُّونَ، الْمُنَجِّمُونَ، الْمُعَالِجُونَ، الْعَرَّافُونَ، الْمُنْشِدُونَ،
اللَّاهُوتِيُّونَ.
الْعَارِفُونَ بِهُوَّةِ السَّكِينَةِ الْأَشَدِّ حُلْكَةً.
رِيَاضِيُّو الزُّهْدِ، عُشَّاقُ الْحِكْمَةِ وَالشُّعَرَاءُ.
أُولَئِكَ الَّذِينَ حَظُوا بِالْقَبُولِ، بِفِعْلِ الْإِرَادَةِ الْحَصِينَ،
بِالِاعْتِرَافِ الْوَاعِي تُجَاهَ الْغَامِضِ.

هُوَ (مِثْلَهُمْ)
شَهِدَ وَصْمَةَ الْفَقْدِ وَالْعَوْدَةَ الْآمِنَةَ إِلَى الْمُطْلَقِ.
رَاهَنَ عَلَى الِاعْتِزَالِ،
هَذَا الِامْتِيَازَ النَّادِرَ،
وَعَلَى طِلَالِ الشَّكِّ الْمُتَصَدِّعَةِ.

هُوَ (مِثْلَهُمْ)
حَمَلَ اللّٰهَ فِي دَاخِلِهِ، وَلَمْ يَتَلَوَّثْ بِسُخَامِ الْعَقَائِدِ.

هُوَ (مِثْلَهُمْ)
مَجَّدَ الْكَائِنَ، زَوَّدَ الْبَاطِنَ بِالْمُعَانَقَاتِ،
بِالنَّفَاذِ الْمُتَّقِدِ، بِالْآمَالِ الشَّامِخَةِ،
بِالْحَنِينِ إِلَى الْغَيْبِ، بِالنِّدَاءِ لِنُزُوحِ الرُّوحِ إِلَى دَاخِلِ الْبَدَنِ،
بِالِانْتِكَاسَاتِ الْجَلِيلَةِ، بِالْقُوَّةِ الْمُحَيِّرَةِ لِلِابْتِعَادِ وَالتَّنَحِّي،
بِالْإِغْرَاءَاتِ الْمُظَفَّرَةِ لِلْيَقِينِ، بِالتَّطَهُّرِ،
بِالْيَأْسِ اللَّانِهَائِيِّ، بِالِاحْتِضَارِ، بِالْعَطَشِ لِلْغِيَابِ،
بِالتَّأَمُّلِ الَّذِي يَسُوقُ النِّهَايَةَ إِلَى أَقْصَاهَا،
بِالتَّعَالِي، بِالطُّمُوحِ الْجَالِسِ عَلَى تُخُومِ الْكَيْنُونَةِ،
وَبِالْيَقِينِ الرَّنَّانِ الْمُكْتَمِلِ الْقَنُوعِ.

٤

الْمُرِيدُونَ،
السَّالِكُونَ،
الْأَوْصِيَاءُ الْأَزَلِيُّونَ.
فِي أُفُقٍ يَعُجُّ بِالْمَتَاهَاتِ،
يَبْحَثُونَ عَنِ الْمُسْتَدَامِ،
وَيَعْبُدُونَ الطَّرِيقَ أَمَامَ الْمَسَارَاتِ الَّتِي ضَلَّتِ الطَّرِيقَ.

الرُّوحِيُّونَ،
الْأَرْوَاحُ الْبَاسِطَةُ سِيَادَتَهَا عَلَى الشَّوَاطِئِ الْبَعِيدَةِ،
أَرْوَاحُ الْأَسْلَافِ الْمُنْصَهِرَةِ فِي قُوَى الطَّبِيعَةِ الْمُهَابَةِ.

الْغُنُوصِيُّونَ،
أُولَئِكَ الَّذِينَ عَبَرُوا عُذُوبَةَ الْيَنَابِيعِ، وَكَتَبُوا سُعَالَ الرُّوحِ،
شَقُّوا طَرِيقًا أَكْثَرَ صُعُوبَةً مِنَ السِّرِّ الْأَعْمَقِ لِلْوُجُودِ.
بِحِكْمَتِهِمُ السَّامِيَةِ، وَبِقُدْرَتِهِمْ عَلَى مُحَاكَاةِ عَوَالِمَ أُخْرَى
دَاخِلَ الْعَقْلِ،
بِرَبَاطَةِ الْجَأْشِ الْمُتَجَذِّرَةِ فِي الطَّبِيعَةِ نَفْسِهَا،
بِتِلْكَ الرِّسَالَةِ الْجَلِيلَةِ، بِهَذَا الِاتِّحَادِ الْعَمِيقِ،
بِتِلْكَ النَّغْمَةِ الْمُشَبَّعَةِ بِرُوحِ الْحَيْرَةِ،
بِهَذِهِ الْوَحْدَةِ الْمَلَكِيَّةِ،
بِذَلِكَ النُّفُورِ مِنَ الْإِسْرَافِ، وَهَذَا الْجَمَالِ غَيْرِ الْمُتَفَاخِرِ.
جَلَسُوا فِي حُجْرَةِ الْكَيْنُونَةِ يَبْحَثُونَ عَنِ الْوِفَاقِ التَّامِّ.

هَؤُلَاءِ،
الْجَلِيلُونَ،
الْغَوَّاصُونَ،
غَاصُوا فِي الْمَعَانِي،
وَلَمْ يَتْرُكُوا اللهَ فِي عُزْلَتِهِ.

٥

الصُّوفِيُّونَ،
الْمُتَعَبِّدُونَ،
آبَاءُ الصَّحْرَاءِ،
الزُّهَّادُ وَالنُّسَّاكُ،
هَؤُلَاءِ وَحْدَهُمْ،
سَادَةُ الرَّفْضِ.

عَشَّابُونَ،
يُشِيرُونَ إِلَى الْأَبَدِ،
وَيُطْلِقُونَ صَيْحَاتٍ نَحْوَ مُسْتَحِيلٍ
لَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ بُلُوغَهُ.

صُوفِيٌّ. عَشَّابٌ،
لَبَّى دَعْوَةَ الْأَثِيرِ،
وَمِنْ قَصْفَةِ الرَّعْدِ حَصَلَ عَلَى ضَوْئِهِ الْعَادِلِ.

٦

آهْ، كَيْفَ يُمْكِنُ لِعَشَّابٍ
أَنْ يُخْفِيَ هَذَا الضَّعْفَ الْمُخْفَى كَقُوَّةٍ؟
كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَعِيشَ تَحْتَ هَيْمَنَةِ الْأَلَمِ،
تَحْتَ هَذَا الْمِزَاجِ الْكَئِيبِ،
وَهَذَا الْإِيقَاظِ الدَّائِمِ لِلْخَسَارَةِ؟
حُقُولُ الطَّاقَةِ الرُّوحِيَّةِ هِيَ أَجْسَادُنَا.
كَلَّا، لَيْسَ ثَمَّةَ حُقُولٌ، بَلْ أَحْرَاشٌ
تَنْمُو حَوْلَ ثَمَرَةٍ نَادِرَةٍ.
هَذَا الِافْتِتَانُ بِالثَّمَرَةِ
يَفْتَحُ نَافِذَةً دَاخِلِيَّةً عَلَى يَقَظَةِ الرُّوحِ.

نَظَرَ إِلَى الثَّمَرَةِ،
أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رُوحِهَا.

لَمْ يَرْغَبْ بِتِلْكَ النَّظْرَةِ الْخَاطِفَةِ الزَّائِلَةِ،
الَّتِي تُوحِي بِالِانْعِكَاسِ الْبَاهِتِ لِلنُّورِ،
أَوِ الْإِحْسَاسِ الْجَاثِمِ فِي الْعَوَزِ.

أَرَادَ النَّظْرَةَ الَّتِي تَسْحَبُ الطَّاقَةَ.
رَاقَبَ الثَّمَرَةَ،
رَاقَبَ النُّورَ وَاللَّوْنَ وَالشَّكْلَ،
رَاقَبَ تَنَاغُمَ الظِّلَالِ،
وَأَصْغَى إِلَى الصَّمْتِ.

رَأَى الْمَلَاكَ يَحْلُمُ بِثَمَرَةٍ.
أَيُّ مَلَاكٍ؟
أَيَّةُ ثَمَرَةٍ؟
هُنَا يَأْتِي دَوْرُ الشَّاعِرِ لِحِيَاكَةِ التَّخَيُّلَاتِ.

خَرَجَ مِنَ الْحُلْمِ إِلَى الْوَاقِعِ،
وَلَقَطَ صُورَةً لِنَفْسِهِ.

٧

الْأَسْلَافُ الْأُسْطورِيُّونَ،
الْمُبَجَّلُونَ،
الْمُتَجَوِّلُونَ فِي أُودِيسَا الرُّوحِ الْبَشَرِيَّةِ،
الْقَادِمُونَ عَلَى هَيْئَةِ رَاقِصِينَ مُقَنَّعِينَ،
أَوْقَفُوا حَفْلَةَ الْمَاوَرَاءِ،
وَاخْتَلَطُوا فِي أَعْيَادِ الْبَشَرِ.

رَأَيْتُهُمْ يَصْعَدُونَ إِلَى ذَلِكَ الْعَدَمِ الْفَاعِلِ الَّذِي اسْمُهُ الْمُقَدَّسُ.
رَأَيْتُهُمْ يَفْتَحُونَ أَبْوَابَ الْهَاوِيَةِ، وَيَبْذُرُونَ ثَرَوَاتِ السَّمَاءِ.

رَأَيْتُهُمْ يَعْكِسُونَ مَسَارَ الزَّمَنِ،
يُزِيحُونَ حَجَرَ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ،
وَيَسْمَحُونَ لِلْأَمْوَاتِ بِزِيَارَةِ الْأَحْيَاءِ.
رَأَيْتُ هَيَاكِلَهُمُ الْعَظِيمَةَ تَكْسِرُ الضَّوْءَ،
رَأَيْتُ أَشْبَاحَهُمْ تَطْرُدُ الْأُسَاطِيرَ،
رَأَيْتُ أَحْلَامَهُمْ تُمَزِّقُ أُرْجُوَانَ الْآلِهَةِ.
الْإِلَهِيُّونَ،
رَسَمُوا صُوَرَهُمْ عَلَى جُدْرَانِ عَالَمِنَا،
وَتَوَارَوْا فِي الْعَدَمِ.



بِلَوْنِ الزَّرْقَةِ

(مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ)

الإِنْجِيلُ

(1)

الكَلِمَاتُ... نَعَمْ، لَا يُمْكِنُ إِنْكَارُ أَنَّهَا كَلِمَاتٌ، وَلَكِنَّهَا تَتَعَثَّرُ لِأَنَّ الشَّاعِرَ لَا يَسْعَى إِلَى أَنْ يَكُونَ شَاعِرًا. يُرِيدُ لِلكَلِمَاتِ أَنْ تَكُونَ خَالِيَةً مِنَ الإِغْرَاءَاتِ، أَنْ تَسْتَغْنِيَ كَامِلًا عَنِ القَصْدِ، أَنْ تُعْطِيَ نَفْسَهَا مَكَانَ الغِيَابِ، أَنْ تَعِيشَ ضِمْنَ حُدُودِ الصَّمْتِ؛ لِأَنَّ عَالَمَهَا لَيْسَ عَالَمَ القَوْلِ وَالمَعْنَى، بَلْ عَالَمُ الوَحْدَةِ الأُولِيَّةِ المَفْقُودَةِ فِي لَيْلِ الزَّمَنِ.

(2)

أُرِيدُ لِكَلِمَاتِ الآلِهَةِ أَنْ تَتَمَثَّلَ فِي هَيْئَةِ جُمَلٍ قَصِيرَةٍ، لِنَتَذَكَّرَهَا بِسُهُولَةٍ وَنَتَأَمَّلَ فِيهَا.

(3)

كُلُّ خَاطِرَةٍ هِيَ وَحْيٌ تَامٌّ، وَكُلُّ خَطٍّ هُوَ شَكْلٌ مِنْ أَشْكَالِ التَّأَمُّلِ. مَنْ لَا يَعْرِفُ الخَطَّ لَا يَلِجْ بَابَ الشِّعْرِ. الخُطُوطُ تَعَارِيجُ فِي جَوْهَرِ الوُجُودِ. المِحْبَرَةُ تَرْبَحُ دَعْوَاهَا، وَالكِتَابَةُ هِيَ عَمَلٌ انْتِقَامِيٌّ دِفَاعًا عَنْ عُزْلَةِ الكَاتِبِ.

(4)

ارْتَدَى العَطَّارُ جُبَّةَ الشَّاعِرِ، وَارْتَدَى السِّمْسَارُ عِمَامَةَ النَّبِيِّ.

(5)

شَاعِرُ المُسْتَقْبَلِ هُوَ فَنَّانٌ وَشَامَانٌ، مِثْلَ أَيِّ وَهْمٍ يَخْلُقُ أَسْلَافَهُ. كُلُّ سَلَفٍ هُوَ طُوطِمٌ، وَكُلُّ قَصِيدَةٍ هِيَ خَطَأٌ مُحَنَّطٌ يَتَرَدَّدُ صَدَاهُ فِي ظَلَامٍ كَرِيهِ الرَّائِحَةِ، بَيْنَمَا يَخْتَبِئُ الإِنْسَانُ تَحْتَ أَقْنِعَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ يَخْلَعُهَا فِي الاحْتِفَالِ أَوِ الحِدَادِ.

(6)

القَصِيدَةُ هِيَ خُرَافَتِي — وَوَيْلٌ لِلشَّاعِرِ إِذَا كَانَ الشِّعْرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ خُرَافَةً — هَذَا مَا أَقُولُهُ لِلمِحْبَرَةِ المَغْسُولَةِ بِالدَّعَوَاتِ وَالبَخُورِ.

(7)

لَمْ تَعْبَأْ ثَمَرَةُ آلَامِنَا بِوَعْدِ المَجْدِ. سَمِعْنَا نِدَاءَ الجَحِيمِ وَرَفَضْنَا العَيْشَ كَبَهَائِمَ فِي الفِرْدَوْسِ. وَمِنْ بَيْنِ العِظَاتِ المُنْتَقَاةِ مِنْ كُتُبِ الأَدْيَانِ، سَنَخْتَارُ عِظَةَ الجَحِيمِ لِأَنَّهَا أَفْضَلُ مَا نَعْرِفُ.

(8)

وَحْدَهَا الغَيْبُوبَةُ، حِينَ تُمارِسُ حَدْسَهَا فِي حَالَةِ الانْخِطَافِ، تَعِيشُ لَحْظَةَ التَّجَلِّي وَتُبَارِكُ الغُمُوضَ المُنْتَحِرَ فِي دَاخِلِنَا؛ لَيْسَ غُمُوضَ الخَارِجِ بَلْ غُمُوضَ الدَّاخِلِ. إِنَّهُ المُقَدَّسُ الَّذِي يَكْشِفُ عَنْ ذَاتِهِ كَشَيْءٍ إِلَهِيٍّ فِي الذَّاتِ الإِنْسَانِيَّةِ.

(9)

الأَكَاذِيبُ هِيَ الحَقَائِقُ الوَحِيدَةُ الَّتِي تُخْفِي عُرْيَنَا.

(10)

الحَقِيقَةُ هِيَ دَعْوَةٌ لِلِانْطِلَاقِ فِي رِحْلَةٍ. وَكَلِمَةُ **"الحَقِيقَةِ"** الَّتِي اُكْتُشِفَتْ فِي الوَطَنِ اليُونَانِيِّ مَا تَزَالُ تُسْتَخْدَمُ بِالمَعْنَى نَفْسِهِ: بِمَعْنَى **"كَشْفٍ"** أَوْ **"إِظْهَارٍ"** مَا وَرَاءَ الحِجَابِ مِنَ المَعَانِي، أَوْ **"إِسْقَاطٍ"** القِنَاعِ عَنِ الأُمُورِ الخَفِيَّةِ وُجُودًا وَشُهُودًا. إِنَّهَا النُّورُ المُقْذُوفُ فِي القُلُوبِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ عَقْلِيٍّ، صَحْوَةٌ مَصْحُوبَةٌ بِفِعْلٍ أَخْلَاقِيٍّ يَخْتَرِقُ طَبَقَاتِ الرُّوحِ الخَامِلَةِ.

(11)

هُنَاكَ خُدْعَةٌ فِي هَذِهِ العِبَارَةِ: اللهُ لَا يُمْنِحُ الخَلَاصَ لِلنَّاسِ، بَلْ يَعْرِضُ عَلَيْهِمْ كَيْفَ يُفَكِّرُونَ فِي خَلَاصِهِمْ.

(12)

الوَقَاحَةُ الفِكْرِيَّةُ لِرِجَالِ اللَّاهُوتِ لَا يُمْكِنُ رَدْعُهَا... فِي كُلِّ لَحْظَةٍ نَتَذَوَّقُ الأَلَمَ. تَرَاجَعَتِ النُّبُوءَاتُ، تَرَاجَعَتْ وَفْرَةُ الحَيَاةِ الخُرَافِيَّةِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا العَدَمُ، القُطْبُ المُتَسَامِي الَّذِي يُمْكِنُنَا اللُّجُوءُ إِلَيْهِ.
مَعَ حَالَةِ عَدَمِ اليَقِينِ هَذِهِ جَاءَتِ العَقْلَانِيَّةُ وَأَدَانَتْ جَوْهَرَنَا، جَوْهَرَنَا الأَسْمَى.

(13)

العَقْلَانِيَّةُ كَاذِبَةٌ، هِيَ مُنَاسَبَةٌ لِلنُّزُولِ إِلَى أَعْمَاقِ الجَحِيمِ، حَيْثُ تَئِنُّ الأَحْشَاءُ أَنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ المُوَاجَهَة إِلَّا مِنْ خِلَالِ الوَحْدَةِ؛ السَّكَنِ الَّذِي تَكْمُنُ فِيهِ حَقِيقَةُ حَيَاتِنَا.

(14)

الأَوْهَامُ هِيَ الحَقِيقَةُ المُكْتَمِلَةُ مِثْلَ فَجْرٍ أَبَدِيٍّ. هِيَ حَيَاتُنَا وَقَطْرَةُ النُّورِ فِي دَمِنَا. إِنَّهَا مَأْسَاتُنَا الرَّحِيمَةُ الَّتِي تُغَذِّي أَرْوَاحَنَا وَتَجْعَلَهَا خَالِدَةً مَلِيئَةً بِاليَقِينِ. أُبُوَّةُ اللّهِ لَنَا أَصْبَحَتْ لَا تُطَاقُ. أَزِلِ الأَوْزَارَ عَنْ نَفْسِكَ وَلَسَوْفَ تَتَيَقَّنَ مِنْ خُلُودِكَ.

(15)

الاسْتِنَارَةُ الحَقِيقَةُ هِيَ إِزَالَةُ الجَهْلِ، وَبَعْضُ دُعَاةِ المَعْرِفَةِ الرُّوحِيَّةِ يُؤَكِّدُونَ جَهْلَهُمْ فِي كُلِّ مَا يَقُولُونَهُ.

(16)

لَا أَمَلَ فِي الإِلَهِ. العَالَمُ هُوَ رَمْيَةٌ عَشْوَائِيَّةٌ لِحَجَرِ النَّرْدِ الكَوْنِيِّ، وَالحَيَاةُ هِيَ المَعْبَدُ الأَكْثَرُ قَدَاسَةً.

(17)

الفَلْسَفَةُ "وَصِيفَةٌ" لِلَّاهُوتِ، وَالفُنُونُ لَيْسَتْ حَشَرَاتٍ مُتَطَفِّلَةً عَلَى الفِكْرِ.

(18)

الطَّبِيعَةُ تَبُثُّ الرَّخَاءَ فِي الكَائِنَاتِ كُلِّهَا. الصَّفَاءُ مَوْجُودٌ بِدَاخِلِنَا، وَالكُلُّ مُتَوَحِّدٌ مَعَ الإِلَهِ.

(19)

يُخْبِرُنَا الأَلَمُ أَنَّ الإِغْوَاءَ هُوَ وَعْدٌ مُفْعَمٌ بِالأَمَلِ. إِنَّ المَوْتَ هُوَ اقْتِرَابٌ مِنْ حُضُورٍ إِلَهِيٍّ فِينَا.

(20)

الكَهْفُ لَيْسَ مَحَلًّا مُظْلِمًا، بَلْ هُوَ اسْتِنَارَةٌ دَاخِلِيَّةٌ مُكْتَفٍ بِذَاتِهِ، كُلٌّ مُتَكَامِلٌ، يُشْبِهُ صُورَةَ العَالَمِ وَيَحْتَوِي فِي ذَاتِهِ عَلَى أَرْضٍ وَسَمَاءٍ. الكُهُوفُ هِيَ مَرَاكِزُ رُوحِيَّةٌ. حِينَ تَجِفُّ الحُقُولُ فِي دَاخِلِنَا، سَنَكُونُ فِي الظَّلَامِ.

(21)

الأَبَدِيَّةُ أُورُشَلِيمُ سَمَاوِيَّةٌ. الحَجُّ هُوَ السَّيْرُ المَرْسُومُ عَلَى رِمَالِ مَسَالِكِ المُتَاهَةِ.

(22)

مِثْلَ فَاكِهَةٍ نَلْتَقِطُهَا أَثْنَاءَ جَوْلَةٍ فِي الحَقْلِ وَنَضَعُهَا فِي أَفْوَاهِنَا. تَذَوَّقْنَا نُقُوشَ الأَضْرِحَةِ.

(23)

كُلُّ عُشْبٍ هُوَ سَفَرٌ، هُوَ تَدَفُّقُ حُدُوسٍ، وَعَلَامَةٌ عَلَى تَأَمُّلٍ عَمِيقٍ لَا يُسْبَرُ غَوْرُهُ. وَالأَعْشَابُ فِي الثَّقَافَاتِ المُخْتَلِفَةِ هِيَ ضَمَانُ بَعْثٍ وَخُلُودٍ، خُصُوبَةٌ تُبَاغِتُ رَعْشَةَ الخَلْقِ بَيْنَ المَجَرَّاتِ. إِنَّهَا إِشْرَاقٌ مُتَوَحِّدٌ.

(24)

الكِتَابَةُ هِيَ انْتِحَالٌ، وَأَنَا طَيْفٌ يَتَعَذَّرُ رَسْمُهُ.

(25)

﴿**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: "إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" أَيْ: إِلَّا لِيُقِرُّوا بِعِبَادَتِي طَوْعًا أَوْ كَرْهًا. يَا لِتِلْكَ الفُكَاهَةِ السَّوْدَاءِ الَّتِي يَتَمَتَّعُ بِهَا الخَالِقُ.

(26)

الحُقُولُ النَّائِيَةُ هِيَ مَنَاطِقُ فِي دَاخِلِكَ، لَا حَاجَةَ لِأَنْ تَذْهَبَ بَعِيدًا لِلبَحْثِ عَنْهَا. حِينَ تَفْعَلُ ذَلِكَ تَخْسَرْ كُلَّ شَيْءٍ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ العَوْدَةَ إِلَى كَيْنُونَتِكَ. حَيْثُ يَبْلُغُ النُّزُولُ إِلَى الجَحِيمِ دَرَجَةَ الأَحْشَاءِ المُتَأَوِّهَةِ، تُصْبِحُ العُزْلَةُ خَلَاصًا وَ"جَحِيمًا" جَنَّةً.

(27)

الإِلَهُ مَصْدَرُ انْتِقَامٍ مِيتَافِيزِيقِيٍّ. اخْتَفَتِ السَّمَاءُ وَظَلَّتِ الأَرْضُ يَتِيمَةً بِلَا هَدَفٍ. يَجِبُ عَلَى الأَدْيَانِ أَنْ تَتَخَلَّى عَنْ ادِّعَاءَاتِهَا بِالحَقِّ. مَا سُمِّيَ عَبْرَ التَّارِيخِ بِـ"الجَحِيمِ" هُوَ جَحِيمُنَا، وَهُوَ أَقْدَسُ مَا نَمْلِكُ.

(28)

أَكْثَرُ الأَحْلَامِ سَخَاءً تَنْبُتُ تَحْتَ الأَشْجَارِ الَّتِي اسْتُعْمِلَتْ كَمَشَانِقَ.

(29)

لَيْسَ رُوحًا، لَيْسَ شَيْطَانًا، لَيْسَ إِلَهًا، بَلْ عُشْبٌ كَظِيمٌ مِثْلَ عِشْقٍ بِلَا قَرَابَةٍ.

(30)

مُجَرَّدُ عَدَمٍ، عَدَمٌ فَظٌّ، تَكْوِينٌ مُخْتَلٌّ يَلِيقُ بِالجَلَالَةِ.

(31)

الأَعْشَابُ هِيَ مَا يَنْمُو فِي دَاخِلِكَ، هِيَ زِرَاعَةٌ فِي جَسَدٍ آخَرَ، وَالآخَرُ هُوَ أَنْتَ. هَذَا مَا زَرَعَهُ هُوَ بِيَدَيْهِ، بِصَوْتِهِ، بِوَجْهِهِ، بِكَلِمَاتِهِ، وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ، لَا شَيْءَ سِوَى عُشْبٍ ذَابِلٍ وَحَقْلٍ لَا وُجُودَ لَهُ.

(32)

أَنَا مَا أَكْتُبُ، وَسَبَقَ أَنْ كُنْتُ عَطَشًا.
أَنَا ضَوْءٌ، وَطَاقَتِي نَقِيَّةٌ.
أَنَا لَوْنٌ، لَنْ أَعِيشَ وَسْطَ سَحَابَةٍ سَوْدَاءَ.
أَنَا رُوحٌ، تَتَلَذَّذُ بِنُورِهَا المُكْتَمِلِ،
وَالكَوْنُ يُحِبُّنِي.

(33)

لَا شَيْءَ، لَا شَيْءَ، سِوَى رَجُلٍ أَعْزَلَ، يُحَاوِلُ أَنْ يَكْتُبَ كَلِمَةً، يَشْطُبُهَا، وَيَكْتُبُهَا مِنْ جَدِيدٍ.

(34)

(●)

هَذَا كِتَابُهُ،
مُجَرَّدُ نُقْطَةٍ تُذَكِّرُ بِـ"البَدْءِ"؛ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ لَا غَيْرُ.
لَا خُطُوطَ، لَا حُرُوفَ، لَا أَشْكَالَ. نَعَمْ، هِيَ كَذَلِكَ: مُجَرَّدُ نُقْطَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ. تُشْبِهُ المُطْلَقَ التَّائِهَ فِي لَا مَعْنَاهُ.

(35)

يَعْرِفُ رِجَالُ الدِّينِ أَنَّ كَلِمَةَ «قَتْلٍ» شَائِعَةٌ فِي الكُتُبِ الدِّينِيَّةِ، وَإِنَّ القَتَلَةَ يَتَضَرَّعُونَ إِلَى الرَّبِّ قَبْلَ مُمارَسَةِ القَتْلِ.

(36)

الإِنْسَانُ لَيْسَ صُورَةً، لِأَنَّ الإِلَهِيَّ يَسْكُنُ فِينَا. نَحْنُ "إِيقُونُوس"، أَيْ: آلِهَةٌ.

(37)

يُؤَجِّجُ المُؤْمِنُونَ نَارَ الشَّرِّ. إِنَّهُمْ أَنْبِيَاءُ الهَلَاكِ، مُنْجَذِبُونَ كَوَحْشٍ وُجُودِيٍّ نَحْوَ الأَنْصَابِ التَّذْكَارِيَّةِ. هَذَا المَرَضُ المُخِيفُ المُسَمَّى "الذُّهَانَ" هُوَ التَّعْبِيرُ الصَّادِقُ لِوَصْفِ البِلَازْمَا الجُرْثُومِيَّةِ لِرِجَالِ الدِّينِ.

(38)

الفَرَاغُ الَّذِي يَتْرُكُهُ غِيَابُنَا هُوَ الحَقِيقَةُ الوَحِيدَةُ الَّتِي تَمْلِكُنَا، تُغَمِّرُنَا، تُعَانِقُنَا فِي اتِّسَاعٍ عَذْبٍ، وَتُخَبِّئُ الأَلَمَ فِي مَأْوَى وَحْدَتِنَا.

(39)

يا لِلصَّمْتِ الَّذِي لَمْ تَمَسَّهُ اللُّغَةُ، يَا لِلْعُزْلَةِ وَهِيَ تَتَّخِذُ هَذَا البَيَاضَ الزَّاهِيَ، وَيَا لِلدُّوَارِ الَّذِي يَسْحَبُنَا لِلْغَرَقِ فِي النُّورِ الأَبَدِيِّ.

(40)

يَا لِلْإِلْمَاعَةِ الوُجُودِيَّةِ فِي هَذِهِ الاسْتِعَارَةِ الهِنْدُوسِيَّةِ: رَجُلٌ حَمَلَ النُّورَ عَلَى ظَهْرِهِ وَمَشَى فِي اتِّجَاهِ الكَهْفِ. وَفِي لَحْظَةِ

تَحْقِيقِ غَايَتِهِ، الحَظَةِ ذَاتِهَا، تَتَوَقَّفُ الحَيَاةُ.
إِسْطُورَةٌ تَخْدِمُ الفَلْسَفَةَ وَالتَّصَوُّفَ مَعًا.

(41)

المُكَافَأَةُ الوَحِيدَةُ الَّتِي مَنَحَهَا الرَّبُّ إِلَى الإِنْسَانِيَّةِ هِيَ "الجَحِيمُ"، المَكَانُ الَّذِي لَا وُجُودَ فِيهِ لِلآلِهَةِ أَوْ رِجَالِ الدِّينِ.

(24)

العَشَّابُ يَطُوفُ بَيْنَ نَفَسِ الأَرْضِ وَعِطْرِ البَرَارِي يَبْحَثُ عَنْ شِفَاءٍ أَوْ قَصِيدَةٍ. هُوَ الوَرِعُ، الحُرُّ، النَّزِيهُ وَالكَرِيمُ، النَّقِيُّ وَالحَالِمُ. لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْهُ النَّهَمُ. جَائِعٌ لِلثِّمَارِ فَقَطْ، وَلَا يُرِيدُ افْتِرَاسَ كَائِنٍ.

(43)

قَوِيٌّ،
وَحِيدٌ،
عُشْبٌ يَتَأَمَّلُ.
فِي ارْتِحَالِ الخَلِيقَةِ الصَّامِتِ،
فِي شَعَائِرِ الطُّقُوسِ،
فِيمَا يَكْتَنِفُهُ السِّرُّ،
وَوَمَضَاتِ المُتَعَالِي.

(44)

صَائِمٌ،
مُنْعَزِلٌ،
عُشْبٌ عَاشِقٌ.

مَهِيبٌ،
وَقُورٌ،
صَاعِقٌ،
عُشْبٌ خَلِيقٌ بِالآلِهَةِ.

(45)

حَكِيمٌ،
حَلِيمٌ،
طَيْفٌ مُضِيءٌ.

فِي طَبِيعَةٍ سَاكِنَةٍ،
الأَطْيَافُ تُحْبِينَا بِالمَسَرَّاتِ.

(26)

نَقِيَّةٌ،
صَافِيَةٌ،
عُشْبَةٌ مُخْتَارَةٌ،
تَحْرُسُ الكَلِمَاتِ بِمَسْحَةٍ هَانِئَةٍ مِنْ عِبَادَةٍ خَاشِعَةٍ.

(47)

رِجَالُ الدِّينِ يَسْرِقُونَ اللّٰهَ مِنَّا، وَيَمْنَحُونَنَا فِي المُقَابِلِ "الخَطَايَا". مَعَ انْجِرَافِهِمُ الشَّرِسِ نَحْوَ الهَذَيَانِ تَحَوَّلَتِ الأَدْيَانُ إِلَى مَحَاكِمَ تَفْتِيشٍ مُقَدَّسَةٍ.

(48)

كُلُّ شَاعِرٍ مَهْمَا كَانَتْ تَشَوُّهَاتُهُ هُوَ مُزَارِعٌ؛ وَمَفْهُومُ الأَعْشَابِ وَصَوْتُهَا يُقِيمَانِ دَاخِلَ حَيَاتِهِ وَفِكْرِهِ، فِي حِينٍ أَنَّ الكَلِمَاتِ هِيَ الأَلْعَابُ. كُلُّ لُعْبَةٍ تُعْطِينَا مِطْرَقَةً نَنْحَتُ بِهَا الأَفْكَارَ. أَمَّا الشِّعْرُ فَهُوَ السَّعَادَةُ، سَعَادَةُ العُثُورِ عَلَى بُضْعِ كَلِمَاتٍ مَلِيئَةٍ بِالحَمَاقَاتِ.

(49)

القَصِيدَةُ: يَا لِهَذِهِ الكَلِمَةِ المُتَكَلِّفَةِ، المُكْفَهِرَّةِ، الثَّقِيلَةِ كَفَظَاظَةِ جَزَّارٍ.
المُنَمْنَمَةُ هِيَ قَصِيدَةُ الشَّرْقِ.

(50)

اللّٰهُ هُوَ شَاعِرُ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، شَاعِرُ الزَّمَانِ وَالتَّارِيخِ، شَاعِرُ الغُمُوضِ، غُمُوضِ الصَّحْرَاءِ الدَّاخِلِيَّةِ الَّتِي تُفْسِدُ الصَّحْرَاءَ الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا.

(51)

تَحَدَّثْ إِلَى المَجَرَّاتِ أَيُّهَا الاِنْطِفَاءُ؛ الدِّيمُومَةُ فَرَاغٌ مُشِعٌّ، وَالفَرَادِيسُ لَيْست سِوَى أَوْهَامٍ لِلتَّعْزِيَةِ، وَتَارِيخُ الإِنْسَانِيَّةِ مَلِيءٌ بِالحَمَاقَاتِ.

(52)

كُلُّ وُجُودٍ حَقِيقِيٍّ هُوَ وُجُودٌ مُتَجَسِّدٌ. العَدَمُ تَوْأَمُ الإِلَهِ.

(53)

العَقَائِدُ هِيَ أَيْضًا شَوَاهِدُ قُبُورٍ.

(54)

الحَجَّارُونَ:

أُولَئِكَ الجَالِسُونَ فِي حُجْرَةِ الكَيْنُونَةِ. البَاحِثُونَ عَنِ الوِفَاقِ التَّامِّ. الغَاطِسُونَ فِي أُوقْيَانُوسِ الوُجُودِ وَالعَدَمِ. النَّاجُونَ مِنْ دَوْرَةِ الوِلَادَةِ وَالمَوْتِ. سَمِعُوا صَوْتَ الإِلَهِ الحَيِّ وَعَرَفُوا أَنَّ العَتْمَةَ ضَوْءٌ.

(55)

السِّرُّ لَيْسَ فِي الخَارِجِ، إِنَّهُ فِي دَاخِلِ كُلٍّ مِنَّا. أَنْ تُولَدَ هُوَ أَنْ تُولَدَ فِي آخَرَ. التَّضْحِيَةُ تُحَرِّرُنَا.

(56)

الأُسْطُورَةُ أَصْلُ الإِلَهِ.

(57)

لَمْ أَجِدْ إِنْسَانًا أَكْثَرَ وُقَاحَةً مِنَ المُتَسَوِّلِ.

(58)

الحُرُوبُ يُمْكِنُ رِوَايَتُهَا كَمَا لَوْ كَانَتْ رِوَايَةً سَاذَجَةً.

(59)

النَّبَاتِيَّةُ: أَعْظَمُ نَقْلَةٍ نَوْعِيَّةٍ يُمْكِنُ أَنْ تَحْدُثَ لِلْجِنْسِ البَشَرِيِّ.

(60)

هَلْ يُمْكِنُ لِلْكَرَاهِيَّةِ الَّتِي غَمَرَتْهَا الفَرْحَةُ أَنْ تَمْلَأَ الفَرَاغَ الرُّوحِيَّ لِلَّا يَقِينِ؟ هَلْ يُمْكِنُ لِلْجَشَعِ الدَّاخِلِيِّ أَنْ يَرْضَى بِعِلَاجَاتٍ نَابِعَةٍ مِنَ العَقْلِ؟ كُلَّمَا تَأَمَّلْنَا الطَّبِيعَةَ أَعْمَقَ فَأَعْمَقَ، هَجَرْنَا قَنَاعَاتِنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ. إِنَّ الشَّجَرَةَ فِي دَاخِلِكَ تَشُدُّكَ إِلَيْهَا. تَدَثَّرْ بِأَوْرَاقِ أَغْصَانِهَا قَبْلَ أَنْ تُبَاغِتَكَ الفَوْضَى فِي حُقُولِ الأَسَى.

(61)

فِي سَاعَةِ الكَدْحِ نَحْتَاجُ إِلَى صَدِيقٍ، فِي سَاعَةِ التَّخْطِيطِ نَحْتَاجُ إِلَى العُزْلَةِ.

(62)

الوَشْمُ فِي غِيَابِ الاِسْمِ (هُوِيَّةٌ)، وَالخَوْفُ مِنَ الآخَرِ يَدْعُونَا إِلَى إِعَادَةِ تَسْلِيحِ الهُوِيَّةِ.

الاِسْتِعَارَاتُ تَشْبِيهَاتٌ مُلْتَوِيَةٌ.

(63)

التَّعَالِي هُوَ الظِّلُّ الصُّوفِيُّ الَّذِي يَلُفُّ الكَوْنَ بِأَسْرِهِ.

(64)

الكَوْنُ بَهْرَجَةٌ.

(65)

الآخِرَةُ مِنْ حِيَلِ اللهِ الرَّائِعَةِ.

(66)

يا مَصابيحَ اليأس، في سِراجِك كُهوفُ المَعنى العَميقَةُ.

(67)

الأَبَدِيَّةُ مُظْلِمَةٌ لِأَنَّهَا نَائِيَةٌ. هَذِهِ مِنَ الأَعْذَارِ الَّتِي يَصْعُبُ تَرْمِيمُهَا.

(68)

الرُّوحُ، الجُزْءُ الأَكْثَرُ حَيَوِيَّةً فِي جَسَدِنَا، المَاسَةُ الشَّفَّافَةُ غَيْرُ القَابِلَةِ لِلتَّأَثُّرِ بِالزَّمَنِ. لَكِنَّهَا مُرَاوِغَةٌ، لِأَنَّهَا عُرْضَةٌ لِلْهَرَبِ، تَتْرُكُنَا فِي فَرَاغٍ نَابِضٍ حِينَ نُحَاوِلُ الإِمْسَاكَ بِهَا. وَكُلُّ الَّذِي نَعْرِفُهُ عَنْهَا وَبِأَقَلِّ قَدْرٍ مِنَ اللَّبْسِ: هِيَ خُنْثَى.

(69)

(الإِنْسَانُ هُوَ الرُّوحُ). مَعَ قَوْلِ سُقْرَاطَ هَذَا، أَرْسَلَ إِلَيْنَا الكَوْنُ رِسَالَتَهُ.

(70)

(اللّهُ هُوَ الإِنْسَانُ). دَعُونَا نَقْتَنِعْ بِهَذِهِ الإِشَارَةِ.

(71)

تَجَلِّي الكَوْنِ سَابِقٌ لِلْوَاقِعِ الإِلَهِيِّ. وَالذَّاكِرَةُ الأَبَدِيَّةُ هِيَ العَزَاءُ الأَسْمَى الَّذِي نَعِدُ بِهِ الإِنْسَانَ بَعْدَ المَوْتِ. هَذَا مَا يَنْكَشِفُ فِي قَلْبِ الصُّوفِيِّ مِنْ أَسْرَارِ الغُيُوبِ قَبْلَ أَنْ يُرْسِلَ المُقَدَّسُ إِلَيْنَا نُورَهُ الشَّفَّافَ، لِيُؤْلِمَنَا.

(72)

المِعْرَاجُ عُكَازُ النَّبِيِّ.

(73)

الوَحْيُ هُوَ تَجْسِيدٌ لِلتَّعَايُشِ بَيْنَ الإِلَهِ وَالإِنْسَانِ، عَلَى أَمَلِ أَلَّا يُشَوِّهَ الإِلَهِيُّ وَاقِعَنَا البَشَرِيَّ. التَّجَلِّي الإِلَهِيُّ هُوَ اِمْتِلَاكٌ حَمِيمٌ لِوَاقِعٍ مُعَقْلَنٍ.

(74)

فِي طَرِيقِ الشَّوْقِ إِلَى الفِرْدَوْسِ نَزَلْنَا إِلَى الجَحِيمِ، إِلَى الأَعْمَاقِ، حَيْثُ يَسْكُنُ المُقَدَّسُ.

(75)

مَعَ كَرَاهِيَّةِ حَيَاتِنَا المُظْلِمَةِ العَمْيَاءِ تُصْبِحُ العُزْلَةُ مَلَاذَنَا المِثَالِيَّ. تِلْكَ العُزْلَةُ الَّتِي تَتَأَوَّهُ وَتَثُورُ عَلَى مَصِيرِهَا، وَتُصَابُ بِاليَأْسِ فِي أَمَلِهَا. إِنَّهَا تَلْتَقِطُ زَفْرَةَ الحَيَاةِ فِي دَاخِلِنَا ثُمَّ تَزْفِرُهَا كَرُوحٍ وَتَنْسَحِبُ إِلَى الخَوَاءِ. الخَوَاءُ الَّذِي يَجْعَلُ قُوَّتَنَا التَّدْمِيرِيَّةَ فَعَّالَةً.

(76)

العِطْرُ رُوحٌ عَاشِقَةٌ. أَنْطِقْ هَذِهِ الشَّطْحَةَ قُبَالَةَ المِرْآةِ، يَسْتَيْقِظِ الشَّاعِرُ فِي دَاخِلِكَ.

(77)

فِي مِرْآةٍ عَتِيقَةٍ، حَيَاةٌ كَالمَوْتِ، كَرَاهَةٌ كَالصَّمْتِ، وَخَيَالٌ لَا يُطَابِقُ خَيَالَهُ.

(78)

ذُهَانٌ جَزُوعٌ يُدَوِّنُ حُدُوسَهُ الحَيَّةَ عَلَى الظِّلَالِ، يُحَضِّرُ لِلاِحْتِضَارِ الطَّوِيلِ فِي خَيَالِ المُتَأَمِّلِ. هَذَا مَا تَفْعَلُهُ الحَيَاةُ حِينَ تَكُونُ وَفِيَّةً لِذَاتِهَا.

(79)

الإِخْفَائِيُّونَ
الأَكْثَرُ خَفَاءً فِي هَاوِيَةِ الإِلُوهِيَّةِ.
الهُدَاةُ،
المُرْشِدُونَ،
اللَّاهُونَ بِالظِّلَالِ،
أُولَئِكَ الَّذِينَ جَعَلُوا قُلُوبَهُمْ مُضِيئَةً، يَعُومُونَ فِي مِيَاهِ
الوُجُودِ الحَيَّةِ.

(80)

الأَيْقوناتُ الْمُقَدَّسَةُ تَحْمِلُ في صَمْتِها كَلِماتِ جَميعِ شُعَراءِ الْعالَمِ.

(81)

أُنْظُرِي إِلى قَلْبِهِ أَيَّتُها الْحَياةُ، كَمْ هُوَ شَفَّافٌ، شَفَّافٌ كَالْماسِ، لا يَتَأَثَّرُ بِالأَلَمِ.

(82)

كانَتْ لِلصَّلاةِ مَعْنًى ميتافيزيقِيًّا بَحْتًا، كانَتِ الْهِبَةَ الْمُكْتَشَفَةَ لِلْوُجودِ، النُّورَ الَّذِي يَفْتَحُ جُرْحًا في لَيْلِ وَحْدَتِنا. سَرَقَ رِجالُ الدِّينِ الصَّلاةَ مِنَّا، فَتَحَوَّلَ الإِنْسانُ إِلى مُتَسَوِّلٍ، يُعانِي مِنْ شُعُورٍ بِالْعَوَزِ الْبَشَرِيِّ، بِالْفَقْرِ. ماتَتِ الرَّغْبَةُ في تَأْلِيهِ الإِنْسانِ. تَبْدَأُ الصَّلاةُ الْحَقَّةُ عِنْدَما يَتَوَقَّفُ الإِنسانُ عَنِ التَّسَوُّلِ.

(83)

في بَعْضِ صُوَرِ عَصْرِ النَّهْضَةِ الإِيطالِيَّةِ، تُرْسَمُ الْعَذْراءُ عارِيَةً، وَبِهذِهِ الطَّرِيقَةِ فَقَطْ سَتَتَجاوَزُ الذَّاتُ نَفْسَها، لِتَجِدَ نَفْسَها في الْمَدَارِ الَّذِي يَدُورُ فِيهِ الْمَرْءُ مُتَحَرِّرًا مِنَ الرُّعْبِ وَالْخَوْفِ، الْمَدَارِ الَّذِي يُنْقِذُنا مِنْ كُلِّ اسْتِبْدادٍ لِلْوُجودِ وَمِنْ كُلِّ انْغِماسٍ فِي الْعَدَمِ.

(84)

التَّسامي، وَالْخَيْرُ، وَالْجَمالُ، وَالْمَحَبَّةُ، جَواهِرُ الإِنْسانِيَّةِ هذِهِ، لا عَلاقَةَ لَها بِتَقْوَى رِجالِ الدِّينِ. بَعْضُ الْعَقائِدِ عُومِلَتْ بِاحْتِرامٍ مُبالَغٍ فِيهِ، رَغْمَ أَنَّها لا تُرَوِّجُ إِلَّا وَقائِعَ بائِسَةً

وَأَكاذِيبَ رَخِيصَةً. إِنَّ التَّسامُحَ لَيْسَ صَدَقَةً، بَلْ نَظْرَةً أُخُوِيَّةً تُشَكِّلُ مَلامِحَنا. وَالإِلْحادُ شَكْلٌ مِنْ أَشْكالِ التَّقْوَى.

(85)

الْمَحَبَّةُ (عَطِيَّةٌ) وَلَيْسَتْ (وَصِيَّةً)، فِعْلُ الْعَطاءِ هذَا يُفْصِلُنا عَنِ الْجَشَعِ الَّذِي لا يَعْرِفُ مَعْنَى الضَّمِيرِ. نَعَمْ، (الضَّمِيرُ) ذلِكَ الْعُمْقُ الَّذِي لا نَعْرِفُ كَيْفَ نَتَعامَلُ مَعَهُ، تُرِكَ مَجْهولاً، مَنْسِيًّا، وَمُذْمُومًا أَحْيانًا. وَحْدَهُ الْقَلْبُ الْعاجِزُ، الَّذِي سَيَتَوَقَّفُ يَوْمًا ما، يَنْبُضُ بِبُطْءٍ وَيَنْتَصِرُ لِهذِهِ الْكَلِماتِ.

(86)

تَتَحَمَّلُ الشَّخْصِيَّةُ الْمَأْساوِيَّةُ لَعْنَةَ سُلالَتِها، لا يُمْكِنُها أَنْ تَتَجَنَّبَ الْمُرورَ عَبْرَ الْجَحِيمِ. فِي الْعُزْلَةِ، فِي نَقَاءِ الْغابَةِ الْبَشَرِيَّةِ، تُولَدُ أَعْشاشُ الْحُلْمِ وَالْوُجودِ. كُلُّ يَقَظَةٍ هِيَ فِعْلُ إِبْداعٍ.

(87)

الإِلَهُ الْمَجْهولُ يُصَوِّرُ الْحَياةَ الْمَوْعودَةَ عَلى أَنَّها الْحَياةُ الْحَقِيقِيَّةُ، وَلَكِنَّ الرُّعْبَ يَدْفَعُنا إِلى واقِعٍ يُشْبِهُ حُلْمًا يَتَظاهَرُ بِأَنَّهُ حَقِيقَةٌ، إِلى تَجاوُزِ الْوَعْدِ الْغامِضِ لِلإِلَهِ الْمَجْهولِ، وَيَكْشِفُ لَنا تَفاهَةَ هذَا الْوَعْدِ.

(88)

التَّأَمُّلُ هُوَ السَّكَنُ، وَالأَفْكارُ هِيَ الْمَنْزِلُ، وَالْكَلِماتُ هِيَ الدُّمى الَّتِي تَعيشُ عَلى حافَّةِ هُوَّةِ الْمَعْنَى.

(89)

أَيُّ لاهُوتٍ مُطْلَقٍ هذَا الَّذِي انْتَصَرَ عَلى الإِنْسانِ؟ وَمِنْ أَيِّ جَوْهَرٍ غَيْرِ مُكْتَمِلٍ يَتَغَذَّى الْوُجودُ؟ بَيْنَ الْكَيْنُونَةِ وَالْعَقْلِ بِسِماتِهِ السَّامِيَةِ بَقِيَتْ تِلْكَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْكَوْنِ في الإِنْسانِ، الَّتِي تُسَمَّى الرُّوحَ.

(90)

تُخْبِرُنا شَخْصِيَّةُ أَنْتِيغُونَ عَنِ الضَّحِيَّةِ الْبَرِيئَةِ، وَيُخْبِرُنا الأَلَمُ عَنِ الْكَأْسِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَتَجَرَّعَها كِيانُ الإِنْسانِ بِأَكْمَلِهِ. وَتُخْبِرُنا الذَّاكِرَةُ أَنَّ الْكِتابَةَ هِيَ دِفاعٌ عَنِ الْوَحْدَةِ الَّتِي نَعيشُها، وَيُخْبِرُنا صَمْتُ الْقَلْبِ عَنِ الْكائِنِ السَّجِينِ في سِجْنِ الْجاذِبِيَّةِ الْكَوْنِيَّةِ الْمَنيعِ.

(91)

عَرَفْتُكَ مُتَأَخِّرًا، أَيُّها الْعَدَمُ، الْعَتِيقُ جِدًّا وَالْجَدِيدُ جِدًّا، وَعَلى الرَّغْمِ مِنْ ذلِكَ، عَرَفْتُكَ مُتَأَخِّرًا.

(92)

عِنْدَما تُسْمِعُ الرُّوحُ صَوْتَها يُصْبِحُ الْمَوْتُ قُوَى خَيْرَةً، وَالْمَنِيَّةُ إِشْراقًا. يُصْبِحُ الْقَلْبُ هُوَ الْعَقْلَ الرَّحِيمَ، لأَنَّهُ يَحْمِلُ في داخِلِهِ صُورَةً لِلْغُفْرانِ الانْتِقائِيِّ، لِلْباطِنِ الْمُظْلِمِ، السِّرِّيِّ، الْغامِضِ، وَيَنْفَتِحُ بَيْنَ الْحِينِ وَالآخَرِ عَلى الْخَفاءِ في هُوَّةِ الإِلُوهِيَّةِ. مَنْ يُفَكِّرُ بِالْعَقْلِ فَقَطْ لَمْ يَعُدْ يَعْرِفُ الدَّهْشَةَ.

(93)

الإِلَهُ الَّذِي يَظْهَرُ في مَأْساةِ حَياتِنا لَيْسَ هُوَ الإِلَهَ الَّذِي في السَّماءِ، بَلْ هُوَ إِلَهٌ يَعيشُ في باطِنِ الأَرْضِ، إِلَهُ الْمَوْتى، إِلَهُ الْقُوَّةِ في اللَّاهُوتِ السِّياسِيِّ. وَالإِلْحادُ هُوَ الصَّرْخَةُ ضِدَّ قانُونِ الأَقْوَى.

(94)

التَّارِيخُ كُلُّهُ مَصْنُوعٌ مِنَ الدَّمِ، وَالْبُكاءُ كَالْماءِ يُغْسِلُ وَلا يَتْرُكُ أَثَرًا. وَكُلُّ حَرْبٍ هِيَ حَرْبٌ أَهْلِيَّةٌ.

(95)

إِنَّ التَّفْكِيرَ لا يَأْتِي بِالسَّعادَةِ، وَالْمَعْرِفَةُ هِيَ الْعائِقُ الْوَحِيدُ أَمامَ الْحِكْمَةِ. وَحْدَها الْخَيْبَةُ تَقْتَلِعُ التَّفاهَةَ وَالتَّكْرارَ وَالتَّقْلِيدَ.

(96)

الْمَجْدُ: لِباسُ الْمَوْتى الْمُسْتَعَارُ.
حَيْثُ يَشْرُقُ النُّورُ في الأُفُقِ، هُناكَ، في ضَوْءِ الصَّحْراءِ الدّاخِلِيَّةِ، يَسْهَرُ الْقَلْبُ وَتَنامُ الأَفْكارُ.

(97)

في الأَحْلامِ الطَّوِيلَةِ لِلأَوْرامِ كُنْتُ ضَيْفَ الْغابَةِ. في حُلْمِ الْقِيامَةِ كُنْتُ حُلْمًا مَعْطُوبًا. في حُلْمِ الارْتِواءِ كُنْتُ الْعَطَشَ الْجَدِيدَ. في ظُهُورٍ يَتَوَسَّلُ كُنْتُ سَعادَةَ الْيَأْسِ بِالتَّعْبِيرِ عَنْ تَعاسَتِهِ. في رُؤًى لِلأَشْباحِ كُنْتُ الظِّلالَ. في تَأَمُّلِ الْمَوْتِ كُنْتُ قَطْرَةً مِنْ نُورٍ أَصِيلٍ. في تَساؤُلاتِ الْوُجُودِ كُنْتُ الرُّوحَ الَّتِي تَجْمَعُ الثِّمارَ لِنَفْسِها. في مَنْطِقِ الأَمَلِ كُنْتُ الضَّوْءَ الشّاحِبَ في نِهاياتِ الطَّرِيقِ. في حُدُودِ التَّلاشِي بَيْنَ الأَسْماءِ وَالأَشْياءِ كُنْتُ أَنْظُرُ بِعَيْنِ الرِّضا إِلى الإِشارَةِ.

(98)

لا يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَرْمِيًّا بِجانِبِ فَرادِيسِ الْبَلاَهَةِ، وَلا يُرِيدُ أَنْ يَخْتَبِئَ مِنَ اللهِ كَما فَعَلَ آدَمُ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الْفِرْدَوْسِ. سَيَكُونُ فِرْدَوْسُهُ عَقْلَهُ النَّقِيَّ، وَسَتَكُونُ وَحْدَتُهُ هِيَ إِلَهَهُ، وَسَيَكُونُ جَسَدُهُ مِرْآةً تَعْكِسُ الْكَوْنَ، وَسَتَكُونُ حِكْمَتُهُ حِكْمَةَ الْحَكِيمِ الشَّرْقِيِّ الَّذِي أَوْصَلَ قَلْبَهُ إِلى النُّورِ.

(99)

كانَتْ آخِرُ كَلِماتِ إِلهِ الْمَحَبَّةِ عَلى الصَّلِيبِ:

(يا أَبَتاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي)[1]

[1]- هامِش: إِنْجِيلُ لُوقا – الإِصْحاحُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ – الآيَةُ 46



كُلُّ هٰذَا الْبَيَاضِ الَّذِي لَا نَسْتَطِيعُ رُؤْيَتَهُ.

حِينَ يَسْتَيْقِظُ الإِلٰهُ

(عَنِ الصَّمْتِ أَوْ "آهِ" الْوَحْدَةِ)

- هَلِ اقْتَرَبْتَ مِنَ الْحُقُولِ النَّائِيَةِ؟
- اُنْظُرْ، يَا عَشَّابُ، أَنْتَ وَرِيثُ اللَّانِهَايَةِ. سِرْتَ نَحْوَهَا بِعِنَادٍ، تَدْفَعُكَ يَدُ اللهِ الْحَانِيَةُ. اُنْظُرْ فِي ذِهْنِكَ أَوْ فِي قَلْبِكَ. اُنْظُرْ جَيِّدًا، فَلَعَلَّكَ تَسْكُنُ وَسْطَ الْحُقُولِ النَّائِيَةِ. حُلْمُكَ يَقْتَرِبُ مِنْ نِهَايَتِهِ، وَهٰذِهِ هِيَ اللَّحْظَةُ الَّتِي يَسْتَيْقِظُ فِيهَا الْمَلَاكُ، لَحْظَةُ الْمَنَامَاتِ السَّعِيدَةِ، حَيْثُ تَمْضِي نَحْوَ الْحُقُولِ النَّائِيَةِ، وَلَا أَحَدٌ حَوْلَكَ يَلْحَظُ ذٰلِكَ.

سَمِعَ الصَّمْتَ يَقُولُ: (أَنَا عُشْبٌ، وَلِهٰذَا أَتَكَلَّمُ)
بَحَثَ عَنْ عُشْبَةٍ لَا يَعْرِفُ اسْمَهَا،
لَا يَعْرِفُ سِوَى أَنَّهَا عُشْبَةٌ مَلأى بِالنُّورِ،
النُّورِ الَّذِي يُضَاعِفُ إِرْوَاءَ الرَّغَبَاتِ،
وَيُبَاغِتُ جَسَدَ الرَّبِّ حِينَ يَتَعَرَّى.
أَكْثَرَ مِمَّا يَفْعَلُ الْإِشْبَاعُ،
أَصْبَحَ يَخْلِطُ بَيْنَ هِبَاتِهَا السَّخِيَّةِ
وَبَيْنَ الْإِجْلَالِ الْمُتَفَانِي الَّذِي نَدِينُ بِهِ لِلطَّبِيعَةِ.
حَالُهُ كَحَالِ الشَّهْوَةِ فِي حِرَاسَةِ الْعَوَزِ.
سَأَلَ عَنِ الْفُصُولِ، عَنِ الْحَتْفِ،
عَمَّا لَا يُمْكِنُ مَحْوُهُ،
وَالْمَوْتِ الَّذِي يَجُوبُ الْحَيَاةَ بِكَامِلِهَا.
كَانَ شَاحِبًا، لَكِنَّهُ لَيْسَ شَبَحًا.
أَنْهَكَهُ الِاحْتِضَارُ وَتَنَاوُلُ الْعَقَاقِيرِ،

أَعْيَتْهُ ابْتِسَامَةُ الْمُحْتَضِرِ الْقَاهِرَةُ.
شَاهَدَ حَرَكَةَ الْأَعْشَابِ فِي النَّسِيمِ،
شَاهَدَ خُيُوطَ الضَّوْءِ تَغْزِلُ أَشِعَّتَهَا الْمُلَوَّنَةَ،
وَأَدْرَكَ تَشَابُكَ الْجُذُورِ تَحْتَ الْأَرْضِ.
لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ سَارَ عَلَى الضِّفَافِ،
عَلَى الْأَحْجَارِ، عَلَى حَصًى مُسَوَّدٍ
مِنْ نَارِ الْبَرَاكِينِ الثَّائِرَةِ.

سَمِعَ الصَّرَخَاتِ الَّتِي تُطْلِقُهَا الْأَرْوَاحُ الْمُعَذَّبَةُ،
سَمِعَ نُوَاحَ حَيَوَانَاتٍ مَذْبُوحَةٍ،
وَرَأَى قَبْرَ الْعَالَمِ مَصْنُوعًا
مِنْ رَمْلٍ وَرُعْبٍ.

أَنْصَتَ إِلَى الصَّرَخَاتِ الَّتِي تُطْلِقُهَا الْأَرْوَاحُ الْمُعَذَّبَةُ،
أَنْصَتَ إِلَى نُوَاحِ حَيَوَانَاتٍ جَرِيحَةٍ،
أَنْصَتَ إِلَى كَائِنَاتٍ مَجْهُولَةِ الِاسْمِ.

بِلَا أَمَلٍ،
بِلَا وَهْمٍ يُضَلِّلُهُ،
بَحَثَ عَنْ عُشْبَةٍ،
عَنْ ظِلَالِهَا الْمَنْذُورَةِ لِعِلَاجِ الرُّوحِ.

ذِكْرَى إِثْرَ ذِكْرَى، تَوْقٌ وَرَاءَ تَوْقٍ،

مَحْكُومًا بِالِافْتِتَانِ بِالثِّمَارِ،
بِصُورَةِ انْعِكَاسِهَا.
اِجْتَازَ خَوْفَهُ الْأَسْوَدَ،
ذَاهِبًا فِي اتِّجَاهِ الْأَنْهَارِ الْمَهْجُورَةِ.

الْأَنْهَارُ الْمَهْجُورَةُ تَقْبَلُ الْغَرِيبَ،
تَقْبَلُ مُغَامَرَتَهُ وَتَوَتُّرَهُ،
تَقْبَلُ عَتْمَتَهُ وَصَمْتَهُ،
وَمَا يَكْتُبُهُ مِنْ رَسَائِلَ
إِلَى قَاطِنِينَ فِي الْأَحْلَامِ الْمُسْتَحِيلَةِ.

أَنْصَتَ إِلَى الصَّمْتِ.

أَرَادَ أَنْ يُشْرِكَ الْمُخَيِّلَةَ
وَيَرْبَحَ الْقُدْرَةَ عَلَى الْحِوَارِ مَعَ النَّفْسِ.
أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ بِالطُّبُولِ،
بِالْأَبْوَاقِ،
بِصَرَخَاتِ الْأَشْبَاحِ
الَّتِي حُرِمَتْ مِنَ الضَّوْءِ؛
أَنْ يَتَجَرَّدَ مِنَ الْكَلِمَاتِ وَالْعِبَارَاتِ كُلِّهَا،
وَيَرْكُلَ الْحَقِيقَةَ كَحَجَرٍ
إِلَى بُرْكَةِ التَّارِيخِ.

أَرَادَ الْإِقْبَالَ عَلَى الْكَلِمَاتِ
بِوَصْفِهَا أَعْشَابًا،
وَالتَّصْوِيتَ عَلَى الدُّنْيَوِيِّ
بِوَرَقَةٍ بَيْضَاءَ.

أَرَادَ لَحْظَةً شِتَائِيَّةً،
لِيَعِيشَ فِيهَا مَعَ نَفْسِهِ
بَعِيدًا عَنِ الْعَقَائِدِ،
وَمِنْ دُونِ إِلٰهٍ.

لَا يَعْرِفُ مَنْ يَتَكَلَّمُ الْآنَ: هُوَ أَمِ الْعُشْبُ؟
أَنْصَتَ إِلَى الْحِكْمَةِ
الَّتِي ادَّخَرَتْهَا شَجَرَةُ الْكَوْنِ مِنْ أَجْلِنَا.
أَنْصَتَ إِلَى تَنَاغُمِ الْأَصْوَاتِ الَّتِي تَسْكُنُهُ،
وَاقْتَرَبَ مِنْ يَنَابِيعَ حَارَّةٍ.
أَنْصَتَ إِلَى النِّدَاءَاتِ الْخَفِيَّةِ:
- خُذْ (اِقْرَأْ).
- (قَرَأَ).

أَمْسَكَ بِالْعُشْبَةِ،
أَمْسَكَ بِجَنَاحِهَا الْمُتَخَيَّلِ،
بِرُوحِهَا التَّائِهَةِ،
وَدَلَاتِهَا الشَّاغِرَةِ.

كَانَتِ الْأَمْوَاجُ تَذْهَبُ وَتَجِيءُ،
تَتْرُكُ مَا تَتْرُكُهُ الْكَلِمَاتُ وَرَاءَهَا.
كَانَ النَّهْرُ يُرْفِدُهُ،
وَالْأَطْيَافُ تَحْضُرُ وَتَغِيبُ.

- خُذْ (اِقْرَأْ)
- (قَرَأَ)

عَنْ نَهْرٍ سَمَاوِيٍّ يَنْغَمِسُ فِيهِ الْمَلَاكُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَخْرُجُ مِنْهُ،
وَمِنْ قَطَرَاتِ الْمَاءِ الْمُتَسَاقِطَةِ مِنْ جَنَاحَيْهِ
يَخْلُقُ اللّٰهُ الْكَائِنَاتِ.

- خُذْ (اِقْرَأْ)
- مَا (اِقْرَأْ)؟

دَخَلَ وَهْجُ الضَّوْءِ،
كَمَا لَوْ كَانَ يَغْتَسِلُ بِبُحَيْرَةٍ مِنْ عَدَمٍ.
مَعَ اقْتِرَابِهِ مِنَ الْغَرَقِ،
حَاوَلَ أَنْ يُمْسِكَ بِالظِّلَالِ،
حَاوَلَ أَنْ يُمْسِكَ بِالْمَوْتِ الصَّامِتِ،
حَاوَلَ أَنْ يُمْسِكَ بِعُشْبَةٍ مُضِيئَةٍ
ظَهَرَتْ فِي لَيْلِ الْحَيْرَةِ الشَّاسِعِ،
عُشْبَةٌ مِثْلَ حَيَاةٍ
دَهَمَهَا تَصَلُّبُ الْجَمَالِ.
دَخَلَ إِلَى رَحِمِ اللُّوتُسِ،
أَرْضِ الِانْعِتَاقِ،

وَصُورَتُهُ:
صُورَةُ الْكَائِنِ الَّذِي تَحَرَّرَ مِنَ الْفَنَاءِ.

بِقَدَمَيْنِ حَافِيَتَيْنِ رَكَضَ فِي حُقُولِ النُّورِ،
رَكَضَ دَاخِلَ جَسَدِهِ،
رَكَضَ مِثْلَ شَبَحٍ،
مِثْلَ هَبُوبٍ يَعْبُرُ إلى الْحُقُولِ النَّائِيَةِ.

اِلْتَمَسَ طَرِيقَهُ إِلَى الْأَرْوِقَةِ الْمُظْلِمَةِ،
عَانَقَ الظَّلَامَ،
وَانْهَارَ بَيْنَ ذِرَاعَيِّ خُدُوشِ الضَّوْءِ الشَّيْطَانِيَّةِ.
وَآخِرُ مَا اخْتَفَى مِنْهُ:
تِلْكَ النَّدْبَةُ عَلَى رُوحِهِ.

هُنَاكَ، رَأَى قَبْرَ الْعَالَمِ،
أَمْسَكَ عُشْبَةً مُضِيئَةً
ظَهَرَتْ فِي لَيْلِ الْحَيْرَةِ الشَّاسِعِ.
بَدَتْ لَهُ الْهُوَّةُ الْمُظْلِمَةُ الَّتِي تُدْعَى الْعَدَمَ
مِثْلَ حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ جَاهِزَةٍ لِأَنْ تُعَاشَ.

جَاءَتِ الْأَشْبَاحُ،
دَخَلَتْ أَحْلَامَهُ.

سَمِعَهَا تَقُولُ:
سَأَهَبُكَ، أَيُّهَا الْأَعْمَى، تَغْرِيدَةَ الضَّوْءِ.
قَالَ النُّورُ:
أَنَا عُشْبٌ، وَلِهٰذَا أَتَكَلَّمُ.
سَمِعَ هَاتِفًا يَقُولُ: سَتَقْتُلُكَ الْأَرْوَاحُ.
سَمِعَ نُبُوءَاتٍ غَامِضَةً،
وَرَأَى آلِهَةَ الْبَيْتِ الَّتِي تَحْمِي الْعَتَبَةَ،
وَرَأَى رُوحَ النَّهْرِ وَرُوحَ الْغَابَةِ.
تَمَاهَى مَعَ النَّارِ،
وَأَذَاعَ رَسَائِلَ الرِّيحِ:
أَنَا رُوحٌ.
أَنَا لَوْنٌ.
أَنَا نُورٌ.
أَنَا عُشْبٌ،
عُشْبٌ يَفُوحُ مِنْهُ عَبَقُ حِكْمَةٍ قَدِيمَةٍ،
وَلِهٰذَا أَتَكَلَّمُ.

حَمَلَ الشُّعْلَةَ،
وَأَبْصَرَ الْآلِهَةَ
تَسْتَحِمُّ بِدِمَاءِ النُّسُورِ.
سَأَلَ: مَا الَّذِي تَعِدُنَا بِهِ الْآخِرَةُ؟
كَانَتِ الْأُضْحِيَاتُ بِصِحَّةٍ جَيِّدَةٍ،

وَحُبُوبُ الْقُرْبَانِ نَقِيَّةً،
لَكِنَّ قُوَّةَ الْإِلٰهَ جَاءَتْ بِالْحُرُوبِ وَالْقَتْلِ.
أَطْفَأَ الشُّعْلَةَ،
وَسَمِعَ نِدَاءَ الْعَدَمِ السَّامِي.

فِي رَأْسِهِ رَعْشَةٌ
لَمْ تَسْتَطِعْ حَتَّى الصَّلَوَاتُ قَهْرَهَا،
وَفِي قَلْبِهِ نَبِيذٌ حُلْوٌ كَالْخَطِيئَةِ.
بَيْنَ الْيَقَظَةِ وَالنَّوْمِ،
قَرَعَ طَبْلَ السَّاحِرِ...
وَصَلَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَحْدُثُ فِيهِ
الِاسْتِبْصَارُ وَالتَّوَاصُلُ الرُّوحِيُّ الْعَمِيقُ.
أَرَادَ شِفَاءَ النَّاسِ
بِاسْتِدْعَاءِ أَرْوَاحِ أَسْلَافِهِمْ.

أَرَادَ أَنْ يَسْتَعِيدَ الْعُشْبَ قُوَّتَهُ الرُّوحِيَّةَ،
وَتُصْبِحَ الْكَلِمَاتُ هَوَاتِفَ بَشَرِيَّةً
تَنْقُلُ الرَّسَائِلَ الْمُقَدَّسَةَ.
تَبَادَلَ الْإِشَارَاتِ مَعَ كَائِنَاتٍ أُخْرَى
عَبْرَ وَسِيطٍ مِنَ الْأَشْجَارِ.

تَحَدَّثَ إِلَى الْمَجَرَّاتِ

(الْمَجَرَّاتِ الْحَيَّةِ الَّتِي قَرَّرَتْ
أَنْ تَتَّخِذَ لِنَفْسِهَا مُسْتَقَرًّا بَيْنَ الشَّوَاطِئِ)
دَخَلَ فِي حَالَةٍ مِنَ اللَّالَوْنِ الصِّرْفَةِ،
وَصَعِدَ إِلَى حُجْرَةِ الْخَيَالِ.
أَضَاءَ الظُّلْمَةَ،
وَقَرَأَ صَلَاةَ الْخَاتِمَةِ
عَلَى حَائِطٍ مُهَدَّمٍ.

يَا حَاجُّ،
يَا حَاجُّ،
يَا حَاجَّ إِلَى الْحُقُولِ النَّائِيَةِ،
أَيُّهَا السَّيِّدُ الَّذِي يُعَلِّقُ نُذُورَهُ
عَلَى شَجَرَةِ الْكَوْنِ،
قُلْ لِهٰذَا الْعَشَّابِ:
هٰذِهِ الْأَصَابِعُ الْمُسَوَّدَةُ
مِنَ الْكِتَابَةِ بِالْقَصَبَةِ،
هٰذِهِ الْأَظَافِرُ الْمُلَطَّخَةُ بِالْحِبْرِ وَالزَّعْفَرَانِ،
هٰذِهِ الْأَوْرَاقُ الْمَصْنُوعَةُ مِنَ اللِّحَاءِ،
هٰذِهِ النَّشْوَةُ الَّتِي مَشَتْ فِي الْخَطِّ
وَاسْتَرَاحَتْ فِي أُفُقِ اللَّوْنِ،
هٰذِهِ الشّعْلَةُ الَّتِي تُشْبِهُ رَقْصَ السَّمَاعِ،
هٰذِهِ الْحُرُوفُ الْمُزَيَّنَةُ بِالزُّهُورِ وَفُرُوعِ الْأَشْجَارِ،
هٰذِهِ الْكَلِمَاتُ الْمُطَرَّزَةُ عَلَى أَلْوَاحِ الصَّلَاةِ،

هٰذِهِ النُّقُوشُ عَلَى جُدْرَانِ الْأَضْرِحَةِ،
هٰذِهِ الْأَكَالِيلُ الَّتِي تُحِيطُ بِرُؤُوسِ الْمَلَائِكَةِ،
هٰذِهِ الْقُوَّةُ الَّتِي تَمْنَحُ النُّورَ،
هٰذِهِ الْكُرُومُ الذَّهَبِيَّةُ الْمَرْسُومَةُ فِي الْمَعَابِدِ،
هٰذِهِ الْبِذْرَةُ الْمَطْمُورَةُ فِي التُّرَابِ،
هٰذِهِ الْحُقُولُ غَيْرُ الْمُتَنَاهِيَةِ،
هِيَ بَدَائِلُ مُقْتَرَحَةٌ
تُوْلَدُ فِينَا.

يَا حَاجُّ،
يَا حَاجُّ،
يَا حَاجَّ إِلَى الْحُقُولِ النَّائِيَةِ،
أَيُّهَا السَّيِّدُ الَّذِي يُعَلِّقُ نُذُورَهُ
عَلَى شَجَرَةِ الْكَوْنِ،
قُلْ لِهٰذَا الْعَشَّابِ،
لِهٰذَا السِّرِّ الرَّفِيفِ،
لِهٰذَا الرَّجَاءِ الثَّمِلِ الَّذِي يُثْقِلُ الْمُقَدَّسَ،
لِهٰذَا الْقَلَمِ الْمُلْتَفِّ بِوَرْدِهِ وَأَوْرَاقِهِ،
لِهٰذَا اللَّوْنِ الَّذِي يَصُبُّ سِحْرَهُ
عَلَى رَقٍّ عَتِيقٍ،
لِهٰذَا التَّوَاطُؤِ بَيْنَ الْكَلِمَاتِ وَالْأَعْشَابِ،
لِهٰذَا التَّنَاغُمِ الْأَعْظَمِ لِلْوُجُودِ،
لِهٰذَا الطَّوَافِ الَّذِي لَا يَعْتَرِيهِ تَعَبٌ،

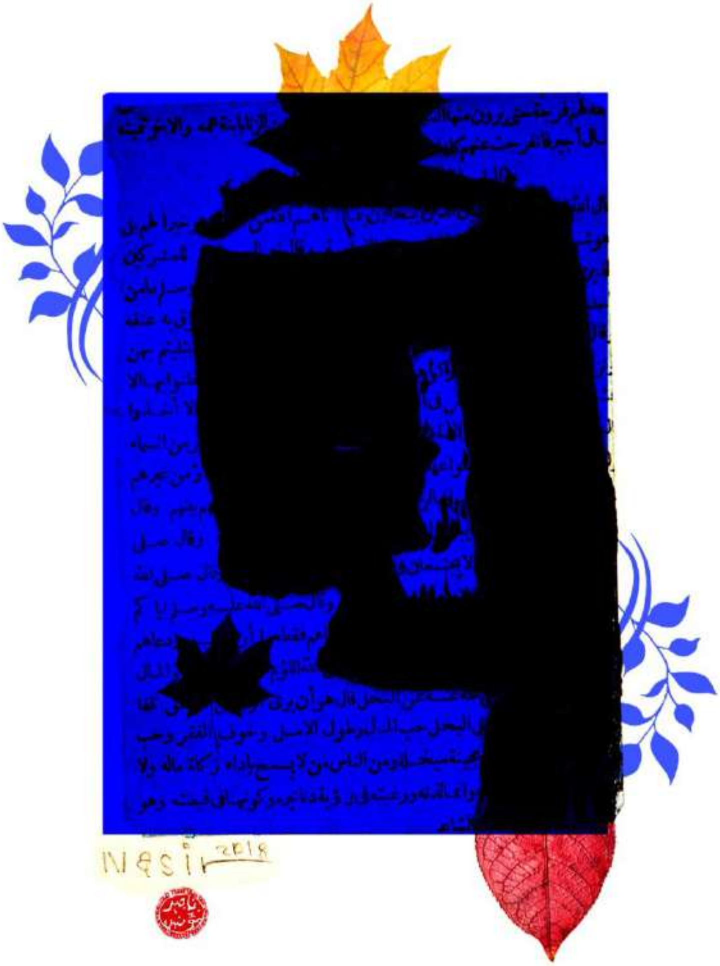
لِهٰذَا الْحُلْمِ الَّذِي يُؤَثِّثُ الْحُقُولَ بِسِعَةِ الْأُفُقِ،
لِهٰذَا الْإِلٰهِ الصَّدِيقِ الْجَدِيرِ بِالثِّقَةِ،
لِهٰذَا الْقَلْبِ الْخَاشِعِ فِي تَكِيَّةِ الدَّرَاوِيشِ،
لِهٰذَا الْمَجْهُولِ الَّذِي لَا تَنْكَشِفُ طَوَالِعُهُ
إِلَّا لِخَاطِرٍ سَكْرَانَ،
لِهٰذَا الشَّامَانِ،
لِهٰذَا الْعَابِرِ،
لِهٰذَا الْمُسَافِرِ: نَاصِرِ بْنِ مُؤْنِسٍ الْبَغْدَادِيِّ،
الَّذِي يُرِيدُ الِاغْتِسَالَ فِي أَبَدِيَّةٍ
دَائِمَةِ الْحُضُورِ.

يَا حَاجُّ،
يَا حَاجُّ،
يَا حَاجَّ إِلَى الْحُقُولِ النَّائِيَةِ،

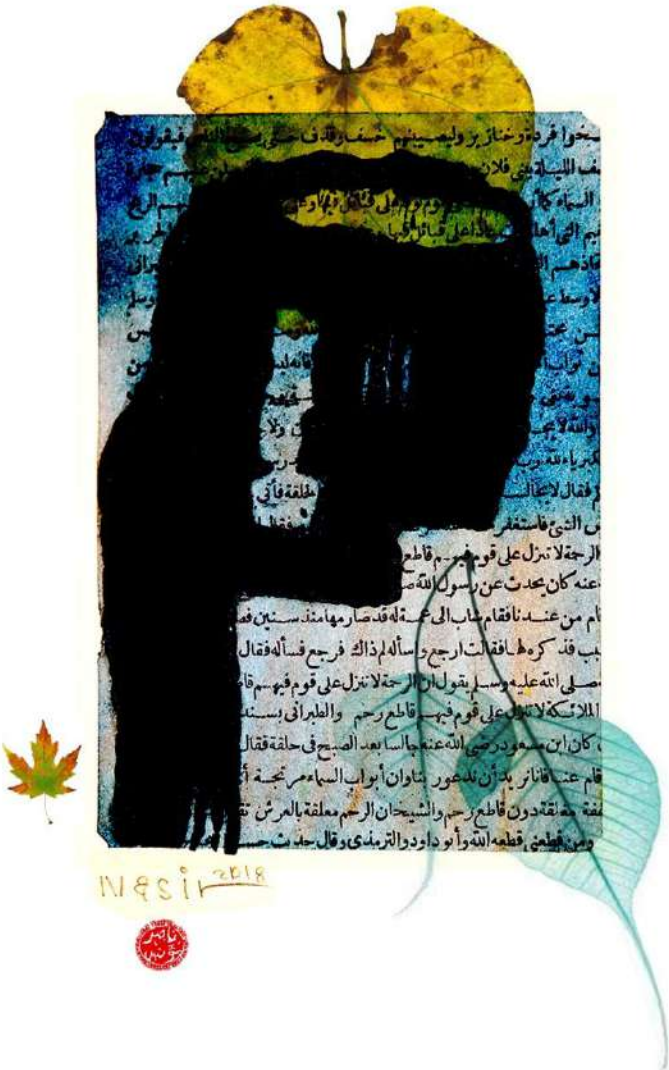
أَيُّهَا السَّيِّدُ الَّذِي يُعَلِّقُ نُذُورَهُ
عَلَى شَجَرَةِ الْكَوْنِ،

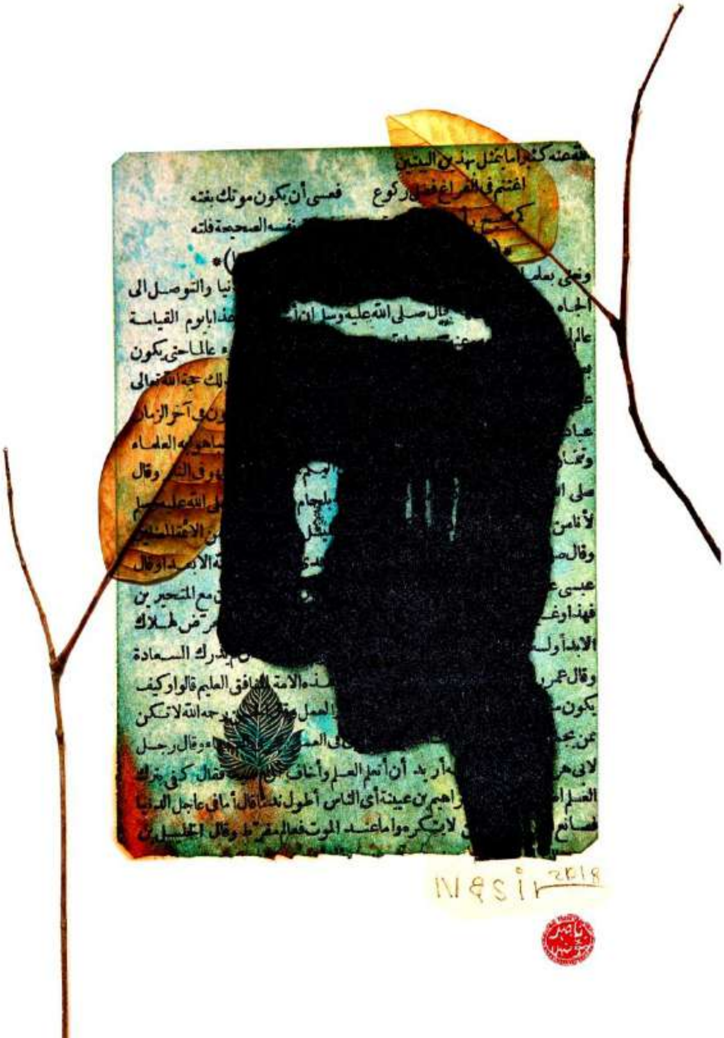
قُلْ لِهٰذَا الْعَشَّابِ:
هَؤُلَاءِ السُّكَارَى،
الْعَالِقُونَ فِي فَخِّ الْعَالَمِ،
يَقْرَؤُونَ عَلَيْكَ السَّلَامَ.

ترجمة
غرافيكية

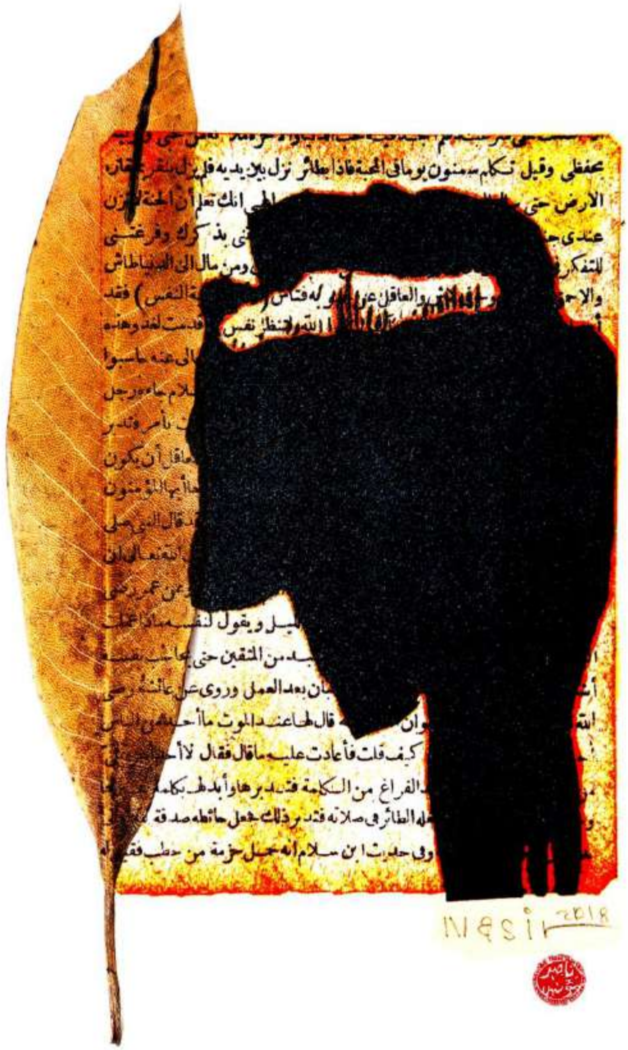



2018











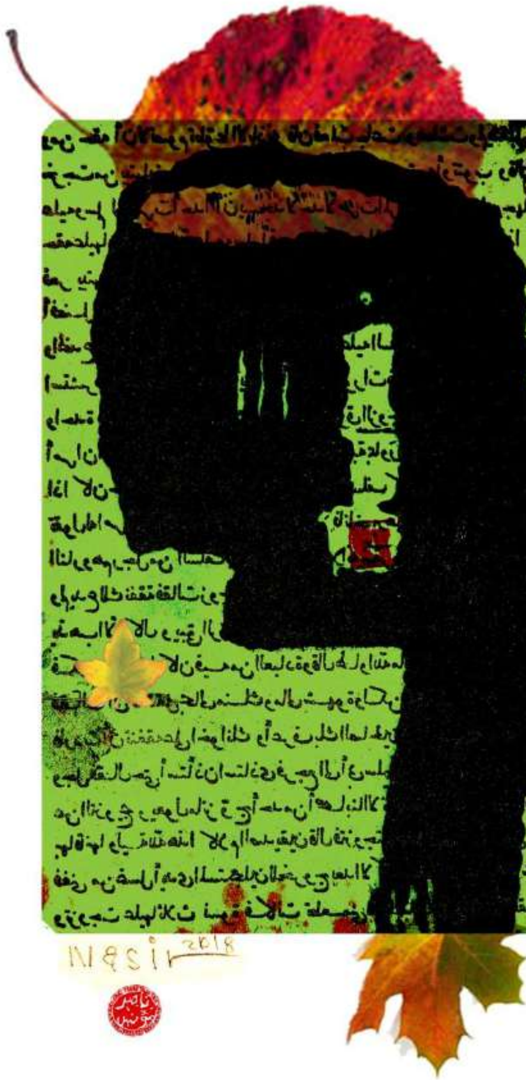







Nesir 2018






Nasir 2018

زَهْرَةٌ مُتَّقِدَةٌ مِنْ أَجْلِ الشِّعْرِ
(بِمَنْزِلَةِ مُقَدِّمَةٍ)

١

من يملك حقّ التساؤل عن جوهر العزاء الأسمى: هل يجوز للشاعر أن يوظّف الكلمات كما يوظّف كاهن القرية النباتات وقواها الروحية في سبيل تحقيق الشفاء؟

إنّ الحجج العقلانية هي الأقدر على استمالة العقول وكسب الدعم، بينما التجارب الداخلية تظلّ نسبية وغير مقنعة دائمًا. وما نقرأه هنا ليس إنتاجًا خالصًا للعقل الشعري، بل ثمرةُ تجربةٍ ذاتية عميقة. إنّها أشبه برحلة حجّ إلى الحقول النائية غيّرت صاحبها من شاعرٍ إلى شامان، وهو يكشف عنها الآن من خلال رحلة غسق داخلي، كأنّه يرى ذاته في مرآة الشامان التي تعكس روحًا مضطربة، مسكونة

بحُمّـى الرؤيـا والمعرفـة، في عزلـةٍ موحشــة وســط البريّـة وطقوسٍ مرهقة.
رجـل أعـزل يُغـذّيني ببضـع حـدوس ويتـرك لي إشـارات مبعثرة من الكون.

٣

علينا أن نعترف بأن الخيال الثقافي قد تجاوزه العلم، وأن المستقبل بات خاضعًا لسطوة التكنولوجيا. أمّا حرية البحث، فهي تعيش اليوم مأساة محاكمة كافكويّة، فيما تحوّل مهرّجو السياسة إلى خلفاء متخيَّلين لله على الأرض. لقد أدخل رجال الدين الإنسانية في دائرة من الضلالة، وانتزعوا منها ممالكها الروحية العميقة، ثم قيّدوا محبة الخالق بقيود الزيف، وألقوا بالبشر في زنازين ضيقة. وهكذا صارت العقائد ـ بسبب رعونة القائمين عليها ـ تستهتر بالمخاطر الماثلة حول جوهر الإيمان نفسه. بدأنا نحمل في داخلنا موت الأفكار الكبرى، وانهيار السرديات الجامعة، والاستعاضة عنها بحكايات هشة صغيرة لا يتبقى منها سوى الرماد.
فماذا سيجد المرء إذا بحث عن روحه في الشعر؟
هل يمكن للشعر أن يكون جسرًا نحو الشفاء، جسديًا كان أم روحيًا؟

وهل ما زال الأدب قادرًا على كشف الأسرار وخفايا النفس كما كان من قبل؟

إنّ الشاعر هو ذاك المسافر الشغوف بجوهر الأشياء. أفكّر الآن في كتابة الشعر بوصفه أداة علاجية، وأنا أدرك تمامًا أن الشاعر ليس قديسًا ولا معلمًا روحانيًا، بل كائن هشّ مثقل بخيباته، غير أنّه يمتلك اقتراحًا يتعلّق بإعادة النظر إلى جوهر الشعر في زمن يطغى فيه التحكم الإلكتروني الشامل، والإفراط في الاستهلاك، والتدمير المنهجي للعالم الطبيعي، وكآبة الحياة المعاصرة.

شاعر اليوم هو ضحية هذا الخراب، وأعني بذلك الشاعر الذي لا يمكن تسليعه ولا إخضاعه لمعايير السوق، الشاعر الذي لا يروّج للإعلانات ولا يشارك في ابتذال الثقافة. لكنّ هذا الشاعر بات شبه غائب عن مشهدٍ ثقافيٍّ تحوّل إلى مجرّد ترفيه في مهرجان استهلاكي. في مثل هذا الواقع، تغلب الاعتبارات التسويقية على أحكام الجودة، حتى غدت الحدود بين القيمة الحقيقية والتصنيف الاعتباطي حدودًا ضبابية، يصعب معها التمييز: هل ما يزال معيار الجودة هو الحاكم؟ أم أنّه غدا مجرّد وهمٍ مبالغ فيه؟

٣

نشهد اليوم انهيار البنية الهرمية التقليدية للثقافة؛ فلم يعد ممكنًا الاحتكام إلى ثنائية الذوق الرفيع في مقابل الذوق

الرديء، ولا إلى التمييز بين ثقافة النخبة والإنتاج الجماهيري. فالمُنتجات الثقافية باتت تخضع، شأنها شأن أي سلعة أخرى، لمعايير السوق القائمة على **الموضة، والرواج، وحجم المبيعات.** وهكذا أصبحت العلامة التجارية تتقدّم على القيمة الجمالية والمعايير الفنية والأسلوبية، بل وتفوقها أهمية في تشكيل الذائقة وتوجيهها.

٤

حتى إنَّ مصطلح **(الثقافة غير العالِمة)**[1] لم يَعُد كافيًا لوصف الإنتاج الثقافي في عصرنا الراهن. فقد أصبحنا نعيش زمنًا يَمزُج فيه الفنُّ بـ **(التَّرفيه)**، والأدبُ بـ **(التَّسليع)**، ضمن نمطٍ مُعقَّد من الممارسات الثقافية. إنّها أصنافٌ لا تُحصى من **(الثقافة غير المُثقَّفة).** ومع ذلك، فإن الطبيعة التاريخية، والتعقيد الحياتي، والتفسير الاجتماعي لهذا التكوين الثقافي الهجين، قد أفلتت –إلى حدٍّ كبير– من قبضة التحليل النقدي. نحن لا نسعى، هنا، إلى إعادة إنتاج الشكاوى التي كُتبت على مدى السنين حول ثقافتنا وأزماتها المتعددة، بل نريد التأكيد على أنَّ الإبداع

[1]- لَا نُحَبِّذُ اسْتِعْمَالَ هَذَا الْمُصْطَلَحِ، لِأَنَّنَا نَعْتَقِدُ أَنَّ مُصْطَلَحَ «الثَّقَافَةِ الْعَالِمَةِ – ثَقَافَةِ النُّخْبَةِ» فِي مُقَابِلِ مُصْطَلَحِ «الثَّقَافَةِ غَيْرِ الْعَالِمَةِ – الثَّقَافَةِ الشَّعْبِيَّةِ» هُمَا اخْتِرَاعَانِ رَأْسَمَالِيَّانِ، وُضِعَا لِأَغْرَاضٍ تَسْوِيقِيَّةٍ، بِغَرَضِ تَحْوِيلِ الثَّقَافَةِ إِلَى طَبَقَةٍ.

قد استُبدِل بـ **(الضَّجَّة)**؛ تلك التي أصبحت العُملة الجديدة لرأس المال الثقافي. في الحقيقة، باتت **(الضَّجَّة)** هي الهمَّ الأكبر لأولئك الذين يتحدَّثون عن الثقافة ويتاجرون بها. وغدت **العلامة التجارية** قيمةً في ذاتها، تستحق الوجود والاقتناء، مدعومةً بدراسات (أكاديمية) تُكتَب بأسلوبٍ حماسيٍّ، ساذجٍ، ومُتواضع، يجذب الأضواء أكثر ممّا يُنتج معرفةً، ليضمن نوعًا من التواطؤ المريح. إنّه قناعٌ ذكيٌّ من أقنعة الانفتاح.

أمّا مسألة **(القيمة)** فقد تلاشت أهميّتها في ظلّ وفرة العروض المُنتشرة داخل السوق الثقافية الجديدة.

٥

الشاعر غير القابل للتسليع يعيش تحت وطأة شعورٍ بالدوار، وكأن وجوده يُمحى شيئًا فشيئًا. فطبقته الاجتماعية، ومستواه التعليمي، ومهنته، بل وهويته ذاتها، باتت قابلة للاستبدال، تمامًا مثل السلع الرائجة في السوق التي تجذب الأنظار ثم تُستبدل بغيرها بسرعة. نحن نعيش اليوم ما يمكن تسميته بـ **"لحظة المرآة"** تلك اللحظة التي يقف فيها المتسوق أمام واجهة العرض، ليدرك فجأة أنّه ليس سوى وهمٍ عابر، ولينكشف له أنّ المستهلك في جوهر الأمر هو الكائن المستهلك ذاته.

غير أنّ هذه لحظة وعي قصيرة الأمد؛ عابرة مثل الموضة، سريعة الزوال مثل إعلانات الحملات الانتخابية. سرعان ما يعود الفرد إلى الارتهان للعلامة التجارية، ليجعلها جزءًا من هويته في خضمّ مشهد عام متشظٍ بالانتماءات والهويات المتناثرة. وهكذا تتحوّل العلامة التجارية إلى أداة إعلان غير منطوق: إشارة إلى الانتماء إلى ثقافة معينة، أو رغبة في الاندماج فيها. لكن، في جوهرها، تظل العلامة التجارية مجرد **مزمورٍ يفتح الطريق إلى بوابة الجحيم.**
جحيم الاستلاب، حيث تُختزل الهوية الإنسانية إلى سلعة عابرة في سوقٍ لا يعرف سوى الاستهلاك.

٦

على الرغم من هشاشة الزمن الذي نعيشه، ما زال لدينا إيمانٌ راسخٌ بقدرة الشعر على النضال من أجل الحرية والروح والبصيرة. فما يزال الشعر يمتلك طاقةً استثنائية تمكّنه من تجاوز الكليشيهات اليومية، ومن إعادة التفكير في مفاهيم الحياة، وخاصةً مفهوم الصراع المستمر مع الكون، ومفاهيم الحرية والذاكرة والتصوف والحياة الباطنية، وما يرتبط بها من شعورٍ وتجربة وخيال.
علينا أن نؤمن أيضًا بضرورة فتح المجال للصمت، وللحدس، وللمجهول، وللكلمات التي تلامس المعنى، كي تُبرهن أن الشعر والعشب ليسا متعارضين، وأن القصيدة يمكن أن تقيم في خيال الأبدية، لكنها تظل ملموسة

وحميمية في آنٍ واحد. في هذا الأفق الإبداعي يصبح فعل الكتابة ضربًا من معرفة الروح، ومحاولةً لتحويل منبع الحياة إلى عالم آخر يتغذى من الطبيعة ويعيد إليها صداها.

٧

العشّاب هو تجربة في الكتابة تتناول مسار البذرة الشعرية، ذلك النهم الدائم للنمو، والرغبة في المعرفة، والسعي إلى إضفاء معنى على الأشياء، بما يعيد ربط الإنسان بالمقدّس. إنه استدعاء لدور الطقس الروحي بوصفه وسيلة لإعادة بناء هذه الصلة المفقودة، وإثبات أن البُعد الروحي قد حوّل السحري إلى إلهي، عبر إضفاء ملموسية على ما كان القدماء "يشعرون به" دون أن يروه. ذلك الشيء هو **المقدّس**، العمق الغامض المحيط بكل شيء، والعدم الخلّاق الذي ينطوي على إمكانية المعنى.

لقد اعتمدنا شخصية العشّاب لأننا نراه واحدًا من أولئك الذين يعيشون من أجل فكّ رموز المشاعر. فالشعر منحَه فضيلة تحويل الحقيقة إلى صورة موضوعية، ومكّنه من إظهارها لأولئك الذين كُتبت لهم، كما شجّع آخرين على الميل إلى العيش في تلك الحقيقة.

٨

إنّ الشعر والعشب قادران على التعايش معًا في سعي الشاعر نحو الاستثنائي. ومع ذلك، يظلّ التفكير المفرط بالواقع قادرًا، في الوقت نفسه، على تدمير أملنا وإضعاف توقنا إلى المعنى.

٩

الشعر لا يطلب من الكلمات أن تضيع في صيرورات هزيلة، ولا أن تُثقل نفسها بادّعاء الحقائق، ولا أن تنزف مثل نوستالجيا عقيمة. إن مهمته الحقيقية لا تتحقق إلا عبر الاستعارة؛ فهي أداته الأعمق لفتح أفق المعنى. ومن هنا يفهم الشاعر أن العقل المطلوب للتفكير في الروح، كونية كانت أم فردية، ليس عقلًا عقلانيًا صرفًا، بل عقلٌ شعري، عقل يتجاوز ما يُرى أو يُدرَك بالحواس، ليشمل أيضًا ما يُعاش ويُشعر به في الداخل.

فالاستعارة، بوصفها أداة شعرية، تقف منذ البدء على الضدّ من الفكر، إذ يدّعي كلّ منهما امتلاك الروح حيث يستكنّ السر الأعظم للخلق. فمنذ نشوء العقل، انفصل السحر عن الشعر، وتكَرّس الافتراض بأن المخيلة البشرية منقسمة إلى قطبين: الساحر والشاعر. غير أن لا الشعر يحتوي الإنسان بكليّته، ولا السحر يستوعب الإنسانية بكاملها. وفي النهاية، نلتقي بالإنسان الملموس، الأعزل، الكائن في تاريخه

الكوني وفي إرادته. الشعر لقاءٌ وهبة، هو اكتشاف نعمة الحلم، في حين أنّ الروحانية بحثٌ ونداء، أقرب ما تكون إلى صلاة أخيرة من أجل الجوهر النقي.

١٠

الشعر إذن هو **الكشف عن السحر**، هو تأمّل في لغز الوجود، ورصدٌ لحيوات الأعشاب، والبحث الدائم عن زهرة الأوركيديا النادرة. تعلمنا حياة الأعشاب كيف نخلق حياة داخلية مقاومة. فحين نكتب، نحن نزرع الكلمات في تربة الورق، والقصائد ليست إلا أعشابًا مغروسة في حقول الخيال، تنمو لتُثري أرض الإبداع الإنساني.

١١

ليست مهمة الشعر أن يتيه في عتمة الواقع.

فالشاعر اليوم يحمل روح الإسكافي؛ يرقّع أحذية قديمة، في مهمةٍ رتيبة تثير الاشمئزاز.

١٢

إصلاح الشعر لا يستند إلى أساسٍ تاريخي أو أدبي، بل ينطلق من **معرفة عذراء**، قادرة على تحريرنا من هيمنة العقل بما هو مسار وأداة تقنية تنظّم الأفكار وتوجّهها

متأثرة بما يُفرض على الفرد من الخارج. إنّ إدراك الواقع يقتضي أولًا المرور عبر **مبهمات الحياة الجوهرية** التي توقظ فينا شوقًا إلى التمسّك بالصخرة التي يتفجّر منها الماء، دون أن يكون بمقدورنا انتزاعها لتطفو على السطح.

ومن هناك، نمضي أبعد عبر **الحدس**، وهو أيضًا عقل، لكنّه عقل لا يتجسّد في الفكر، بل في أعماق وجودنا؛ معرفة الروح التي يُتيحها لنا الشعر من بعض مواضعه الخفيّة. عندها فقط نقترب من إدراك الواقع إدراكًا أصيلًا، حين نعيد تحديد جوهر الأزواج المتكاملة :**السحر والشعر، العشب والكلمة، العقل والحدس.** فلا وجود لشعر يجهل السحر والروح، ولا لشعر لا يعرف شيئًا عن شقاء العشب، ولا لشعر لا يقدر أن يضيء خرائب الحياة بضوء نبيل. إنّ الشعر بلا حضور عوالم أخرى، ليس شعرًا.

١٣

يُجادِلُ طاليسُ أنّ الفلسفةَ، حين صاغتِ الآلهةَ عبر الطقوسِ والقرابينِ، أفقدتِ الإنسانَ شيئًا فشيئًا صِلتهُ الحميميّةَ والمباشرةَ بالأعماقِ الخفيّة. وحلَّ محلَّ الفعلِ الشِّعريِّ موقفٌ جديدٌ هو الموقفُ الفلسفي: فعلُ التَّساؤل. وهذا يُشيرُ إلى انفصالِ الإنسانِ عن محيطهِ، وفقدانِ الأُلفةِ، وانحسارِ العبادة.

وهكذا فإنَّ السُّؤالَ الفلسفيَّ الذي طرحه طاليسُ ذاتَ مرّةٍ يُمثِّلُ انفصالَ الرّوحِ البشريّةِ، لا عن تلك الآلهةِ التي أبدعها الشِّعرُ، بل عن الجوهرِ المقدَّس، عن ذلك العالَمِ الغامضِ الذي انبثقَتْ منهُ هي نفسُها.

لاحقًا، تجرَّأ نيتشه على إعلانِ "موتِ الإله" من خلال شخوصِه، مُؤكِّدًا أنّ التاريخَ البشريَّ لا يمكنُ أن يُروى دون تدميرِ الآلهة؛ إذ لا بُدّ لها أن تموتَ ليتمكّنَ الإنسانُ من التخلّي عن الإلهيِّ والاستسلامِ للعقل. ومع ذلك، اعترف نيتشه بأنّ الإنسانَ سيظلُّ أبداً يعيشُ في شراسةِ ظلِّه.

تُحلِّلُ الحداثةُ المعاصرةُ مفهومَ "موتِ الإله" من زاويتين:

- الأولى، بوصفه مسيرةً تاريخيّةً للإنسانِ وهو يُدمّرُ آلهتَهُ ويستبدلُها بأخرى.
- والثانية، في صورةِ اندفاعِ عقائدَ لا يمكنُ اختزالُها في أيِّ دينٍ سابقٍ يمكن أن تستلهمَ منه. وهذه العقائدُ، في جوهرِها، كسردٍ لا يُستقصى عمقُه، تتمحورُ حول موتِ الإله على أيدي البشر.

وعند هذه النُّقطة، تُقدِّم الحداثةُ تفسيرَها لعبارةِ نيتشه المُثيرةِ للجدل: إنَّ إعلانَ موتِ الله لا يكونُ مُمكنًا إلا لمن يؤمنُ به، بل وأكثر من ذلك، لمن يُحبُّه. فالحبُّ وحدَه هو الذي يكشِفُ الموت.

١٤

دلّت الوجوديّة على تجريد الإنسان من كل صلةٍ بالله، ومن ثمَّ على انكشافه للعدم كعزلةٍ مطلقة. غير أنّ هذه العزلة الكاملة تظلّ وهمًا؛ إذ إلى جانب الإنسان يقيم "الآخر"، ذلك الظلّ الكامن لذاته، "الأخُ الخفيّ أو الضائع، الذي لن أتحقّق حقًّا إلا إذا شاركني وجوده؛ إذا ما اندمجنا في كيانٍ واحد."

إنّ الحياة حين تُعاش انطلاقًا من الوعي وحده، تُنتج حول الإنسان فراغًا خانقًا، تختزل كلّ شيءٍ إلى مجرّد أفكار. وهكذا يُدفع إلى رحلةٍ مضنية في البحث عن تأكيد الذات. لكنّ هذا الاندفاع ذاته يُولد مقاومة لم تكن حاضرة من قبل؛ فالوجود هو الإنسان نفسه، وإذا ما تجلّى له كـ"آخر"، صار عندئذٍ آخرَ الوجود: أي العدم.

غير أنّ هذا العدم ليس خواءً فارغًا، بل هو كلّ شيء؛ إنّه العمق الذي لا اسم له، ليس فكرةً قابلةً للتصوّر، بل إحساسٌ محيط بالفراغ الذي يُتيحُه الوعي.

١٥

لم يُكتب التاريخ البشري عبر أحلامه وهذياناته فحسب، بل من خلال أوهامه المُلحّة أيضًا. لقد تجلّى هذيان التأليه الذي رافق الإنسان طوال ملحمته في أطوار متعاقبة. حتى

صورة "الإنسان الخارق" عند نيتشه ليست إلا استعادةً للإلهي، بكل ما كان مستورًا خلف الفكرة التي صاغتها الفلسفة عن الإلهي. ولم يكن ذلك ردًّا على العقيدة الدينية وحدها، بل كان أيضًا ردًّا على الفلسفة نفسها. فـ"سوبرمان" نيتشه هو الهذيان الأسمى، المنبعث من أعماق الملك المتسوّل، البريء، المذنب، الذي يعجز عن الفكاك من ثِقل الزمن. إنّها قريحة الشيطان التي تطمح إلى استصلاح العدم؛ المقاومة العنيفة التي تُبديها الحياة البشريّة في وجه كلّ هذيانٍ للتأليه.

ضدّ الملك المتسوّل، ضدّ المرض، ضدّ الموت، ضدّ أنقاض الأفكار... وفي هذه الآلام المدوّية للشِّعر، نلمح القرابة بين **العُشب والشِّعر**، ونستعيد دور الوساطة بين **الشامان والشاعر**.

١٦

لقد كان الانفتاحُ الأول، الأصيل، للحياة البشريّة حين بدأ الإنسانُ يُعاني من آلهته؛ أي حين تَشكّل الواقع من خلال المعاناة أمام العدم، أمام المقدَّس بما هو عمقٌ غامض لا يُدرك.

بالنسبة إلى **(الشاعر–الشامان)**، فإنّ الذّات، المعلَّقة في شعور العدم، لا ترتفع إلا إذا ظلّت وفيّةً لحالتها المزدوجة:

معاناةُ سجنِ الواقع، أي سجن الوجود، من جهة، وحرّيّتُها التي يغذّيها العدم من جهةٍ أخرى.
لقد كان العدمُ آخرَ تجلّيات المقدَّس، الحدَّ الأخير الذي يُطلّ منه الإنسان على السرّ، لا باعتباره فراغًا، بل باعتباره نَفَسًا آخرَ للحضور الخفيّ.

١٧

(الشاعر–الشامان) يُطلق العنان لشعورٍ ضاربٍ في أعماق كيانه، شعورٍ ببزوغ الرّوح في هيئةٍ وجوديّة وصوفيّة معًا. إنّه يسعى إلى نسج حوارٍ بين الأساطير الكلاسيكيّة والدين والفلسفة والشّعر والفن، في محاولةٍ لتوليف الأصوات التي كوّنت ذاكرة الإنسان ومصائره.
إنّه بمثابة دليلٍ روحيٍّ متعالٍ، يقود نحو دخول الرّوح في فضاءٍ فارغ، مركزٍ مُضيءٍ ومنفتحٍ كفسحةٍ يتجلّى فيها المقدَّس، ويطلّ منها الخلاص "الرّوحي" لكلمةٍ مغمورةٍ ومحاصَرةٍ بالعقل البشري.
إنّها تجربة شعريّة تُكتب من رحم الألم، ألم الاقتلاع والهجرة، بالمعنيَين: التاريخي–الثقافي، والوجودي. تجربةٌ عميقة تهدف إلى الإفصاح عن المشاعر الباطنيّة، وإلى إنشادٍ زاهدٍ للروح في سعيها نحو العبور.

١٨

تدعونا الأعشاب إلى وعيٍ أعمق بمعتقداتنا وقيمنا ومشاعرنا؛ فهي تُكرِّس انتباهنا نحو استكشاف **الجوهر** . ذلك الجوهر الذي يتجلّى عبر فنّ الشعر كمساحةٍ يُطلّ فيها المطلق، لا باعتباره حضورًا مُباشرًا، بل كـ **وجود/عدم وجود**، حضورٍ يلوّح ولا يكشف عن نفسه.

إنّ تجربة العشّاب تكشف مسار تطوّر الروح كمغامرةٍ تخييلية تنبثق من الروحانية لتتجاوزها، ثم تمضي نحو أفق الشعر، بعد عبور مرحلةٍ وسيطة تُعيد للحياة أُلفتها وللفرد فرادته. عند هذه العتبة، يغدو الشاعر **"الشامان الجديد"** الكاهن الإبداعي لميتافيزيقا أخرى، لذلك يَسمح لنفسه بالضياع في نشوة الشعر، باعتبارها وسيلة للنفاذ إلى ما وراء المظاهر والتقاط جوهر اللاوعي الكوني.

الشامان، في رمزيته، يُصرّ على وجود العمق الغامض المختفي في نسيج الواقع، وهو عمق لا يُدرَك إلا بالحدس، ذلك الذي يُختَبَر خارج حدود اللعبة الشعرية التي، مع ذلك، تظلّ موصولةً بالواقع وبإحساس التدفق الزمني، كبدايةٍ ونهايةٍ للوجود الحقّ.

العدمُ هو ذاكرةُ الوجود،

اللامتناهي هو جدليّةُ المقدَّس والإلهي،

الكلمةُ الشعريّة كونٌ أبيض.

١٩

ينبثق الشعر من قوّةٍ دينيّةٍ خفيّة، من ذلك الأمل الذي تتفتّح منه أحلامُنا، الأحلام التي يقوم عليها نظام العالم، والتي تكسِب الواقعَ الغامض شفافيّةً وديمومةً ومعنًى. فالشعرُ روحٌ، أو هكذا كان في بداياته. وهنا يكمن جوهر المأساة. فهذه الكلمات المشؤومة تُحاجج بأنّ **الشعر والعُشب** قادران على التعايش في سعي البشريّة إلى فهم العالم، غير أنّ الفعلَ الشعريّ يمتلك في الوقت نفسه القدرةَ على تقويض الأمل وتدميره.

إنّنا نؤمن بأنّ **"طاقة الأعشاب "**ضرورةٌ لحفظ حيويّة الشعر، فهي التي تُعيد تشييد صروح الأمل فوق أرض الخراب. وغالبًا ما يُشبَّه فعل الكتابة الشعريّة بشعاع نورٍ ساطع؛ إذ يُتصوَّر الفعلُ الشعريّ كرؤيةٍ خالصة تحمل ادّعاءً عظيمًا، هو ادّعاء تجاوز الزمن. لكن إلى جانب استعارة النور، تعترف الثقافة الروحيّة باستعارة أخرى هي **استعارة القلب**، التي تُلطّف من غطرسة العقل.

إنّ الأمر لا يستلزم عنفًا ولا ارتقاءً نحو حقيقة أسمى؛ بل على العكس، التواضع هو ما يليق بالشعر. عليه أن ينزل من عليائه ليتّصل بنمط آخر من المعرفة. ولتحقيق تلك اللحظة الحميمة، ينبغي للشعر أن يستلهم من الحقول المجاورة، أن يُصغي لما حوله كي يجد نفسه من جديد.

٣٠

الشعر يحتاج أن يُخلع عن عرشه العقلاني، ليكتشف روحه الخفية، ليُسمع صوتها الخافت الذي يصدح في الموسيقى ويترنّم في التصوف. فكتابة الشعر ليست مجرد ترتيب للكلمات والمعاني، بل هي الروح نفسها تتنفس وتهمس، تُعلن عن وجودها قبل أن يُدركه العقل.

إسماع هذا الصوت أشقّ من مجرد قول، فحين نحيد عن جوهر الشعر، نصطدم بالقيود التي نخبئها في أعماقنا، وبحدود العالم من حولنا. كلماتنا، أفكارنا، تتحرّك في الظلّ، نجهل ما ستفعل، كيف ستتوهّج، أو كيف ستترك أثرها في نفوس الآخرين.

الشعر إذًا ليس ملكًا للعقل، بل رحلة إلى الفراغ الداخلي، حيث يُطلّ الصوت على الحقيقة، حيث الروح تتجلّى في ضوءٍ لا يُرى إلا حين نجرؤ على الانصهار في صمتها، على الانكسار أمام خفيّتها، وعلى السماح لها بالظهور كما هي، بلا قيود، بلا حدود، كنبعٍ يسكن الوجود كله.

٣١

يسمحُ مفهومُ **الشامانيّة** باستعادةِ ذلك الفيضِ المتعدِّد الذي مجَّدَه الزمنُ قبل أن يشرع التاريخُ في الكتابة. من سرٍّ خفيٍّ ينبثقُ شغفُ المطلق، من شرَهٍ يولِّد الرغبة: رغبةَ

التواصل مع الرّوح الكامنة في الطبيعة، حيث يتَّخذُ الحنينُ الغامضُ شفافيّةً وديمومةً ومعنى. إنّها كلماتٌ تلخّصُ العوزَ الداخليَّ لحياةٍ مُقفِرة.

الشامانيّةُ من أقدمِ أشكالِ الرّوحانيّة. ولا إنسانَ كاملًا في الروحانية، كما لا إنسانَ كاملًا في الشِّعر. ففي الروحانية يُطِلُّ علينا الكائنُ في تاريخِه الكونيّ، في توقِه إلى الوجود. وفي الشعر نلتقي بالإنسان الملموس: الفرد، الشغوف، الخالق. الروحانيةُ تسعى وتهتدي بنور القلب، والشِّعرُ لقاءٌ وإتقانٌ واكتشافٌ لنعمةِ الكينونة.

مع الروحانيةِ الجديدة انتقلنا من (الخالقِ–المصمِّم) إلى الإنسانِ الذي يُعيدُ تشكيلَ ذاتِه وفق الطلب أو وفق مواصفات العصر. فإذا كانت الذاتُ قادرةً على تصميم الأشياء، فكيف تكونُ هي المُصمِّمة والحقيقية في آنٍ واحد؟ وحين تعجزُ القدرةُ الفكريّةُ عن مواجهةِ مخاوف الوجود، يحتاج المرءُ إلى طاقةٍ وزمنٍ وتأمّلٍ أعمق ليبلغَ قاعَ نفسه. أمام أسئلةِ اللاجدوى، كيف نحصّنُ الروح؟

ومن المهمِّ ألّا نخلط بين المؤمن والمحتال؛ فـ **أصدقاءُ الله** هم الساعونَ إليه، لا المتحدِّثون باسمه مدَّعين أنّهم وجدوه.

الشَّاعِرُ مَوْجُودٌ لِلِاحْتِفَالِ بِالْكَوْنِ،
الْقَصِيدَةُ احْتِفَالٌ بِمَا هُوَ مَرْئِيٌّ،
الشِّعْرُ هُوَ احْتِفَالٌ طُقُوسِيٌّ بِأَرْوَاحِ الْكَائِنَاتِ.

٣٣

الكتابةُ تخاطُرٌ وسفرٌ عبرَ الزمن؛ قُدرةُ الكلمة على التلصّص: تتجسّسُ على الأفكار والسجلاّت والمعاني والرؤى. إنّها محاولةُ إقامةٍ في الاحتمال، والاحتمالُ نفسُه فعلُ خيالٍ لا ينقطع. روحٌ ترفضُ الاحتواء، لا تسكنُ إلّا في ما لا يُسكَن.

وحين يُصبح الشعرُ تفاعلًا فرديًّا مع العالم، تغدو تراتيله أدعيةَ التائه في الذات الإلهيّة؛ إيمانًا بما يتعذّر نُطقه، إيمانًا بالكلمة حتّى لو لم تولد الكلمة. للكلمة مهارةُ صيّادٍ يومَ كانت اللغةُ ضيّقةَ المعاني. للكلمة تاريخُها الذي يحكي عن الكلمات، للكلمة هيئةُ تعويذةٍ حامية تحتضنُ الطاقةَ الروحيّة الكامنةَ في النطق.

الشعرُ تأمّلٌ في لُغز الوجود، وبحثٌ عن السِّحر الخفيّ المستتر فينا، مهمّتُه أن يكشفَ هذا السِّحر. الكلمةُ عُشبة، وسرّ القصيدة: زهرتها الفريدة، عطرُها، ألوانُها البهيّة. تجربةٌ تُسخِّر الماورائيّ ضدّ رُعب الأحداث التي تُفسدُ الروح، فيما الإلهُ يرقبُ فناء البشر ولا يتدخّل.

والشاعرُ هنا، هو حاجٌّ في طريقه إلى فردوسٍ مُتخيَّل.

٢٣

فِي هذه الصيرورةِ نلمسُ السِّرَّ الذي احتفظ به كهنةُ المعابد؛ حيث يلتقي العُشبُ بالهندسةِ الروحانيّة، والشعرُ بالرياضيات، وحيثُ تُغنّي القُبراتُ بالرّوح لا بالحنجرة.

في الرواقيةِ الكلمةُ بذرة: تمنحُ الحياةَ وتُطلقُ النشأةَ والبلوغَ والزوال. وهكذا يكون الإنسانُ محكوماً بدورته النباتيّة، ويُصبحُ الشعرُ حاملًا في كلماته بُذورَ فنائِه ونسيانِه. إنّ العُشبَ نفسَه أثرٌ شعريّ، لا نباتًا وحسب؛ وعندما تهتزُّ القوةُ الكامنة فيه، تهبُّ للشاعر رعشةَ السُّكر ورجفةَ الثَّمالة.

الشعرُ هو العُشبة التي تُنبتُ **زهرةَ الحياة**، الرمزَ الفريد الذي يُخفي في قلبه السِّحرَ المكنون، السِّرّ المدفون فينا. ولذا جاءت هذه الكتابةُ محاولةً للانصات إلى النَّمط المقدّس، إلى **الهندسةِ التي تُشيد بها الكينونة** وتنعكسُ استعارةً للنَّفس في كُلِّ الكون. يقظةٌ تدمج الكلمةَ بالعُشب، كما تُدمج الرُّوحُ نقطةَ النور الحميم في الجسد.

يكشفُ الكتابُ بنيتَه عبر إشعاعٍ هندسيّ، ويُقام على سلّمٍ لونيّ من سبعةِ ألوان، هي ألوانُ الشّاكرات، في سبعةِ أسفارٍ، رتّبت كتابي هذا طبق ألوانها في الآثار، مع فيض في المقصود يشمل المحو. وهي تحاكي الأيامَ السبعةَ للخلق، وتلتئم في "زهرة الحياة"؛ دائرةٍ تُجسّد العدمَ الذي انبثقَت منه الظواهرُ جميعها، وتقودُ إلى سرِّ **النقطة الصفريّة**.

والكرةُ هنا صليبٌ يعلّقنا عليه الفراغ.
في هذا السديمِ الهندسيّ حاولنا تنغيمَ الكلمةِ بالعُشب، رسمَ الأفكارِ التي نؤمنُ بها، تطهيرَ الدّاخل، والإحساسَ بملكيّةِ القصائد. فالقصائدُ، كالأعشاب، تحملُ في أوراقِها وصفاتٍ للشفاء، لكن دون أن تُقدّم علاجًا جاهزًا.

٢٤

الهندسةُ المقدَّسةُ رمزٌ واستعارةٌ للكون، تُدعى أيضًا **لغةَ الصمت** أو **لغةَ النور** .ومفتاحُها المكنونُ مُودَعٌ في الرمزِ الفريد **:زهرةُ الحياة.**
لقد صارعتُ نفسي طويلًا: هل أستطيع أن أكتبَ مجموعةً شعريّة تُشبه تلك الزهرةَ المرسومة على جدران المعابد؟ وبعد مجاهداتٍ روحيّة وحياتيّة اكتملت المجموعة... لكنّ القدر لعب لعبتَه، فاختفت القصائدُ من الحاسوب كأنّها ابتُلِعَت في العدم.
غير أنّ العالَمَ الرّوحيَّ يكافئنا بطرائق لا نُحسن توقّعها. وبعد أربع سنواتٍ من الغياب والنسيان والانشغال بما لا أدري أكان نافعًا أم عدمًا، عادت القصائد فجأة، في لحظةٍ من صفاءِ المجريات الكونيّة؛ انبثقت كأنّها تُدافع عن ذاتها ضد عدوّها القديم: أنا. آن الأوان أن تُنشر، كهدايا سرّية يمنحها الغيب.

تتكامل **زهرةُ الحياة** في تسعَ عشرةَ دائرةً متشابكة، تُحيط بها حلقتان متحدتا المركز. لكلّ دائرة القُطرُ ذاته، يمرّ قوسُها بمركز أختها فيقسمها شطرين. إنّها علامةٌ عظمى للهندسة المقدّسة، تختزنُ في أبعادها كلَّ صِيغ الرياضيات، وكلَّ قوانين الفيزياء، وكلَّ تناغمٍ موسيقيّ، وكلَّ شكلٍ من أشكال الحياة، وكلَّ ذرّة.

هي استعارةٌ للوجود كلِّه، وللماهيّة التي لا تفنى.

٢٥

اسمُ **زهرة الحياة** لا يُطلق عليها لأنّها تُشبه الزهرة فحسب، بل لأنّها تُجسِّدُ دورةَ التحوّل في شجرة الفاكهة: من زهرةٍ إلى ثمرة، ومن ثمرةٍ إلى بذرة، والبذرةُ تحملُ صورةَ الشجرة كاملةً، فتُعيدُ ولادةَ الحياة من جديد.

غير أنّ بنيتها ليست محصورةً في رمزيّة النبات وحده؛ فهي تُخفي في طيّاتها أشكالًا هندسيّة متعدّدة، رموزًا للخلق، تسلسلاتٍ رياضيّة، خرائطَ للجينات البشريّة. حتّى الـ (الحمض النووي) نفسه، بما يحمله من ذاكرةٍ وراثيّة، يجد شكلَه في هذه الزهرة. إنّها تختزن نسبَ الجسد البشريّ، وتوزيعَ الذكور والإناث في العالم، وصُوَرَ الإدراك الثلاثيّ الأبعاد، ورَسْمَ التفريغات الكهربائيّة في الغلاف الجوّي، وتوازنَ الحقول الهندسيّة وإشعاعاتِها الطاقيّة. لكن كلَّ ما

نذكره يظلّ مجرّدَ شذراتٍ من شيفرةٍ شاسعة تحتضنُ أبعادَ الوجود بأسره.

إنّ ما تكشفه **الهندسةُ المقدَّسة** من روابطَ بين الإنسان والعالم والخالق هو الجذر العميق لكلّ التعاليم الدينيّة والصوفيّة. فهي ليست أرقامًا وخطوطًا جامدة، بل ممارسةٌ تهدفُ إلى إيجاد التوازن بين معرفةٍ عقلانيّة ذكوريّة، ومعرفةٍ حدسيّة أنثويّة.

وحين يُدرِك النصفُ التحليليّ من العقل أنّ هناك وعيًا واحدًا، وإلهًا واحدًا، وروحًا واحدةً شاملة، تتوازنُ الأضداد فينا. عندها فقط نستطيع أن نتخطّى وعيَ القطبيّة إلى وعي الكمال.

٣٦

المادّةُ تخضعُ لقوانين الطّاقة المرسومة في بنيتها، وبفضلِ هذا الانضباط وحده يظهرُ الخلقُ والإنسان كجزءٍ من النّسيج الكوني. إنّ شكلَها يتكوّن عبرَ شبكاتٍ ومصفوفاتٍ طاقيّة، بُسِّطَت قديمًا في صورةِ مكعّباتٍ ومستطيلات، غير أنّ **مصفوفةَ الخلق** أبعدُ غورًا: نظامٌ بالغُ التعقيد يتألّف من شبكاتٍ متداخلة، لا تتأسّس على الخطوط المستقيمة بل على الدائرة، على الكرويّة، على المجالات المتشابكة لزهرةِ الحياة.

عند تقاطعات تلك المجالات يتدفّق الضوءُ، وتنتقل الطاقةُ، وتُحوَّلُ المعلومة. وهكذا تُبرهن زهرةُ الحياة أنّها النموذجُ الملموس لمصفوفة الخلق اللامحدودة؛ إنّها **لوحُ الزمرد**، الخارجُ من عمق الأرض، ليبني الأشكالَ ويُحيي الحياة، ويغدو فاعلًا في صميم الهياكل الكونيّة.
في أروقة الوجود، تنمو زهرةٌ متّقدة، تتّسع بلا انقطاع، وتزيحُ الليل عن موضعه. وفي مركزها شعاعُ قوّةٍ عظمى، يهبُ الحياة والضوء، ويُنشّط كلَّ ما يقترب منه.
وعلى ضفاف هذا الكشف، نضعُ كمينَنا الجديد، ونُطلق عليه عبارة : زَهْرَةٌ مُتَّقِدَةٌ مِنْ أَجْلِ الشِّعْرِ.

٣٧

هذه التجربة تُشبه تسلّقَ جبلٍ بحثًا عن السلام الروحي، غير أنّ هذا السلام يقود إلى الصمت لا إلى الكتابة. فكيف تُقنِعُ نفسك بالاستمرار، وأنت تؤمن أن الضياع الكونيَّ أعظمُ من أن تُعالجه الكلمات؟ كيف تكتب، وأنت تدرك أنّنا أسرى القهر، وأنّ النضال بلا جدوى في زمنٍ تُقرع فيه أجراسُ الأبديّة؟
أرى الشعر محاولةً لإحياء مُتخيَّلِ المعرفة الكونيّة؛ ذلك الخزّان السرّي الذي اغترفت منه الحضاراتُ حين اشتعل أوّلُ وهجٍ للعالم. أرى القصائد كالأعشاب: تمنح وصفاتٍ شافية أحيانًا، لكن من دون أن تُقدِّم علاجًا جاهزًا.

هل تُقدّم المعرفةُ الروحية أجوبةً لأسئلة الشعر؟

لا جوابَ واحدًا صحيحًا. فالقصائد لا تُطالِب قارئها بالقراءة، بل هي التي تقرأُ قارئَها، حيث يلتقي العقلُ بالجسدِ والرّوح. أمّا جوابي فهو: اجعل القصيدة علاجًا، ولو كان بلا برهانٍ صُلب. يكفي أن تؤمن بهذا العلاج لتُشفى، لتشكر الوجود على هِباته، ولتتلاشى المتاهة.

وكما قال بول فاليري: «لا يُنهى أي عملٍ فنّي، إنما يُهجَر».

وأنا، في محاولتي هذه، لا أنهي الكتاب، بل **أهجره**، أضعه في منامٍ بلا صحو.

فهرس

The Herbalist

(A Pilgrim Seeks Distant Gardens)

Poems and Graphic Translations

Nasir Mounes

The Herbalist

(A Pilgrim Seeks Distant Gardens)

Poems and Graphic Translations



NASIR MOUNES



9 781326 155087

2025